

روايات مصرية الجيب



49

# أسطورة المشيرة

ما وراء الطبيعة



[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

# مقدمة

عن ما وراء الطبيعة أكتب ..

عن الأشياء التي لا ترى ولا تسمع ولا تشم ولا تحس ..  
وربما لا تعقل كذلك ..

عن الأشياء التي تتحرك خارج مركز الإبصار ، والتي  
تدير وجهك نحوها لتجد أنها ليست هناك .. عن الإحساس  
الغامض في مؤخرة عنقك ، حين تنتصب الشعيرات ،  
وتشعر أن هناك ما لا وجود له يقف وراءك ..

عن الأشياء التي لا اسم لها كما يسميها (لافكرافت)  
العظيم ، الذي لا بد أنكم تعرفونه الآن ..

عن الخوف أكتب ..

عن الستائر التي تتموج ليلاً في ضوء القمر دون  
أن تكون هناك أنسام تبرر هذا كله ..

عن الأبواب التي تصدر صريراً لا يكفي بعض  
الزيت لعلاجها ، وكل أبواب قصص الرعب تصدر صريراً  
كما تعرفون ..

## ١ - مقدمة لا بد منها للأسف ..

لندن بعد منتصف الليل ..

هناك فيلم رعب قديم لـ ( لون تشانى ) بهذا الاسم ،  
لكننا بعيدون عن أفلام الرعب هنا .. ( لندن ) القرن  
التاسع عشر المظلمة بشوارعها الضبابية وأنوارها  
الخافتة ، يجول فيها السفاحون والمذعوبون والمسوخ  
الهاربة من المعامل ، بينما البشر النادرون الذين تلقاهم  
هم دائماً ضحايا .. هذا هو ما تعلمناه من السينما وقصص  
الرعب القديمة ، أما ( لندن ) المعاصرة فمدينة راقية  
متحضرة .. لا شيء يخيف فيها إلا عدم تمكنك من  
الالحاق بالمترو ..

لهذا - يمكننا أن نفهم - كان ( تيموثى مورجان )  
يركض ركضاً وهو يختلس نظرة إلى ساعته من حين  
لآخر ..

عن شواهد القبور في وقت الغروب ، والساعات  
التي تشير إلى آخر لحظة كان أصحابها أحياء ..  
عن الأطفال الذين تلعب معهم ساعة أو أكثر ، ثم تعرف  
- بالصدفة - أنهم ماتوا من أعوام ..

عن الوجوه التي تنطبع على زجاج النوافذ ، وصوت  
الأنين القادم من غرفة نائية خالية في دارك .. والشموع  
التي تنطفئ دون هبة هواء واحدة ..  
عن الرعب أكتب ..

لكنه ذلك الرعب الهامس الموحى الذى يشبه لحناً  
غامضاً سمعته يوماً ما ، ولاستطيع تذكره بالكامل ..  
الشعور بأن شيئاً ما لا تدرى كنهه سيحدث بعد ثوان ..  
لا أتكلم عن الأطراف المبتورة والدماء والعيون  
المقلوعة فليس هذا هو المكان المناسب بالتأكيد .. ربما  
قابلت بعضها في قصة اليوم ، لكنه الاستثناء الذى  
يؤكد القاعدة ..

- اليوم نتحدث عن العشييرة ..

\* \* \*

إنه موظف في أحد الفنادق في (ساسكس جارندر)  
- وسط المدينة - ويسكن في ضاحية مطار (هيثرو)  
التي يسمونها (ميدل إسكس) .. ومن عادته أن يلحق  
بهذا المترو بالذات ليكون في داره في الثانية بعد  
منتصف الليل .. وقد ظل يمارس هذا الروتين خمس  
سنوات كاملة منذ استقر في حي (كراتفورد) مع أسرته ..  
الحقيقة هي أن العمل كان بعيدًا عن المنزل ..  
لكن العمل كان يناسب ميوله ، والمنزل كان يروق  
له ، وقد عجز عن أن يجمع الحسنيين في مكان  
واحد ، ولكنه كان يؤمن بقدرة التعود على إزالة  
الصعاب ..

لندن بعد منتصف الليل ..

ليست بالضبط مدينة نائمة لأن لندن - كأي عاصمة  
أخرى - مدينة لاتنام ، لكن محطة مترو الأنفاق  
- ويسمونها هنا الأنبوب أو الـ Tube - كانت خالية كعلاقتها  
في هذه الساعة .. لا بد من الظلام .. الكثير منه .. لا بد  
من الصمت .. الكثير منه ..

على الجدار تنتثر عبارات عشوائية رسمها بعضهم  
بعلب (السبراى) أو بالأقلام الغليظة .. عبارات بذينة  
أو تنتهم الحكومة البريطانية بالفساد ، أو تؤيد  
(كاسترو) وتنعى (جيفارا) ..

ربما تجد هنا أو هناك عجوزًا شريدًا نائمًا ، لأن  
لندن - كأي عاصمة أخرى - لا تعرف الرحمة .. إن  
لها وجوهاً عديدة لكن لا روح لها ..

الضوء الخافت يسقط فوق الجدران الرخامية ،  
وعلامات إرشاد هنا وهناك تحدد مسارات المترو  
العملاق ، الذى يشكل شبكة كاملة تحت المدينة  
الصاخبة ..

بعد قليل يصل المترو وكشافه الوحيد العملاق فى  
المقدمة يعطيه انطباعًا أسطوريًا كأنه ديناصور عملاق  
قادم لالتهام الجميع .. تفتتح الأبواب الكهربائية ، ويكلف  
(مورجان) إلى الداخل ليجلس فى أول مقعد يقابله ..  
والعربة دائمًا خالية إلا من عجوز شريد آخر ، يمضى

لم يكن (مورجان) يخاف اللصوص ولا المتحرشين  
في هذه الساعة .. لأن من يخاف هؤلاء يجب أن  
يكون ثريًا أو موحياً بالثراء أو امرأة .. أما هو  
فلا شيء فيه يدعو للتحرش .. نظرة واحدة لمظهره  
وثيابه وعلامات المعاناة على وجهه ، تقنع أى لص  
أنه مجرد زميل آخر .. أو واحد من الأشخاص الذين  
لا اسم لهم وهم ملح الأرض ..

لكن شيئًا ما فى شكل هؤلاء القادمين جعله يتوجس  
نوعًا ..

كانوا يمشون فى غير انتظام .. مشيتهم توحى بالكثير  
من الاستهتار والعنوانية والغطرسة .. وكانوا مسلحين  
بالعصى ، ويتبادلون الضربات فيما بينهم على سبيل  
المزاح ، وصوتهم مرتفع على غير عادة الإنجليز ..  
هؤلاء إذن من عتاة البلطجية ، أو هم ثملون إلى حد  
أن صاروا كذلك ..

نظر حوله بحثًا عن رجال شرطة ، لكن لم يكن هناك  
أحد .. هذا طبيعى لأن رجال الشرطة لا يظهرون إلا حين

ليلته فى رحلة لا تنتهى داخل عربات المترو .. لأن لندن  
- كآية عاصمة أخرى - لا تعرف الرفق بالشيوخ ..  
وتتغلق الأبواب ، وبعد دقائق يغلب (مورجان) عناء  
العمل الذى استمر ثماني ساعات متواصلة ، فيغفو ..  
دائمًا لا تطول غفوته أكثر من نصف ساعة ، بعدها  
يصحو مذعورًا يتساعل أين هو .. ثم يفيق ويغفو  
ويفيق .. وفى النهاية يصل إلى المحطة ، فيترجل ويمشى  
قليلاً فى الشوارع المظلمة متجهًا إلى (كرانفورد) ..

هذا هو روتين حياته الممل .. طموح؟ لقد كف عنه  
من سنين .. لم يعد يريد إلا أن يظل فى هذا العمل الذى  
يدر عليه دخلاً معقولاً ..

الآن هو يدخل المحطة ويتجه إلى مكاته المعتاد من  
الرصيف ..

\*\*\*

كان هناك ثلاثة أشخاص يأتون من بعيد .. على  
مسافة خمسين مترًا ..

تكون أنت المخطئ ومن المستحيل أن تجد واحدًا  
حين تريده ..

تراجع للوراء وقدر أنه إن ظل هادئًا لن تحدث  
مشاكل .. لقد مر بهذا الموقف مرتين أو ثلاث مرات  
في تاريخ عودته من العمل ، ولم يحدث له شيء ..  
إنهم يقتربون أكثر ..

يدخلون دائرة الضوء .. وهذه المرة زال اطمئناته  
وطارت نفسه شعاعًا ..

كانت على عيونهم جميعًا عوينات سوداء وثيابهم  
توحى بالهيبيز الذين كان هذا العهد عهدهم الذهبي ..  
مع فارق واحد هو أن الهيبيز أميل إلى السلام والترخي ..  
هؤلاء كانوا واضحين الشراسة والقوة ، وأدرك أن  
اثنين منهم ملوثان بالدماء إلى حد يوحى بأنه لن يكون  
الضحية الأولى لهم في هذه الليلة .. كما أدرك أنهم  
غالبون عن الوعي تمامًا .. لا بد أنه مخدر ما من المخدرات  
التي يتعاطاها أمثال هؤلاء ..

بدأ يتراجع للوراء أكثر ، وقدر على الفور أنهم  
من أجله قادمون ..

أشار أحدهم إليه وصاح بلهجة ( الكوكنى ) التي يصعب  
فهمها على من لا يعرفها :

« هذا واحد آخر !! »

فأطلق الآخرون ضحكة ماجنة مدوية ، وأطلقا سبة  
بذينة ، ثم مشوا نحوه .. خطوات بطيئة لكنها فعالة ..  
لاداعي للإسراع فلا يوجد أحد في المحطة كلها ..

أين هذا المترو؟ لاداعي لانتظار المترو على كل  
حال ، لأنهم - طبعًا - سيركبون معه .. ما لم ينهوا  
الموضوع قبل أن يركبه ..

ماذا يريدون؟ لا يعرف .. وفي الغالب هم كذلك  
لا يعرفون .. إنهم في حالة غياب عن الوعي جعلتهم  
أقرب إلى ذئب شرسة تحتاج إلى الدم .. أي دم ..  
سيضربونه ضربًا مبرحًا ولربما يقتلونه ثم يفرون ،  
ولسوف تكتب الصحف المسائية عنه ، باعتباره نمونجًا  
لما وصل إليه العنف غير المبرر في هذه الأيام ..

نظر إلى نهاية الرصيف ، ووجد أن هذا هو السبيل  
الوحيد أمامه .. الابتعاد عنهم ..

ودون إعادة تفكير راح يجرى إلى نهاية الرصيف ..  
يجرى .. لم يبد أن هناك من يجرى خلفه لكنه أدرك  
أنهم يواصلون الزحف الحثيث نحوه ..

- « هلريا ( مارتن ) .. إنه لك !! »

قالها أحدهم في مرح .. فراح ( مورجان ) يركض  
أسرع وأسرع ..

نهاية الرصيف حيث ينتهى النور ويبدأ الظلام فى  
النفق الطويل المؤدى إلى المحطة التالية .. فقط هناك  
حبل معلق على سبيل الحاجز ، مع لافتة حمراء مضيئة  
تنذر الحمقى من تجاوز هذا الحاجز .. لكن لا خيار  
أمامه ..

رفع ساقه ليعبر الحبل ، ثم وثب عند نهاية الرصيف  
إلى الظلام .. وراح يركض موازياً للقضيب ..

يسمعهم يركضون وهم يتصايحون فى مرح .. كما  
يتصايح النبلاء الإنجليز فى حماسة عند بدء صيد  
الثعالب .. يركض أسرع وأسرع ..

الآن هو يركض فوق الحصى الموجود على جانبيه  
القضيب .. جواره جدار النفق .. ومسافة تبلغ نحو  
المتر تفصل هذا الجدار عن القضيب .. ظلام دامس ..  
لكنه يرى من بعيد كشافاً خافت الضوء معلقاً على  
الجدار .. وهو واحد من كشافات متباعدة تجعل الرؤية  
ممكنة إلى حد ما ..

يركض ولا ينظر للوراء .. لأن الراكضين الذين  
ينظرون للوراء يتعثرون دائماً .. هل مازالوا خلفه ؟  
الحقيقة أن دخوله هذا النفق حماقة ما بعدها حماقة ،  
ولو قتلوه هنا فلن يشعر به أحد .. لا أحد يجيء هنا  
منذ أنشئ خط المترو ، لكن ماذا كان بوسعهم أن  
يفعل ؟ ينتظر حتى يهشموا جمجمته أو يبقروا بطنه  
بمديهم ؟

لن يستطيع طبعاً الركض حتى المحطة التالية ..  
هذا يحتاج إلى ساعة كاملة أو أكثر .. عليه أن يبقى  
هنا بعض الوقت ثم يعود بعد فترة تسمح بانصراف  
هؤلاء المشاغبين ..

النفق يرتج .. لماذا ؟

آه ! لقد جاء المترو الذي كان يجب أن يركبه ..  
ورحل طبعًا .. وهو الآن يتجه إليه !

نظر للوراء فرأى الضوء الرهيب في نهاية النفق  
يكبر حجمًا من لحظة لأخرى ، والنفق يرتج أكثر  
فأكثر .. أدار ظهره للجدار ليلتصق به ، وبذل مجهودًا  
عنيفًا كي يتحول إلى نوع من الطلاء الملتصق  
بالجدار .. كانت هناك أجزاء حجرية بارزة فأنشبت  
أظفاره فيها ، وتمنى ألا يكون تفريغ الهواء عنيفًا إلى  
الحد الذي يلقي به تحت عجلات الوحش القادم ..

فووووووووووه !

مر الهول القادم به ، على مسافة لا تتجاوز ثلاثين  
سنتيمترًا .. كان الأمر لا يصدق كأنه الكابوس ، وراح  
النفق يرتج بأعنف ما يمكن ، بينما العربات المضيئة  
تجري أمامه بسرعة ، حتى إن صورتها تحولت إلى  
جسم طويل مضيء هائل الحجم بلا تفاصيل وبلا نهاية ..

وكاد تفريغ الهواء ينزعه من مكانه لكنه تشبث بقوة  
تفوق تحمل البشر .. تخيل أنه سحلية تتشبث بقوة  
في تجاويف جدار ..

حقًا هي تجربة شنيعة تغير تضاريس روحك ذاتها ،  
ولأسباب كهذه عالج القرويون عندنا العقم وبعض  
الأمراض المستعصية بالنوم بين قضيبى القطار في أثناء  
مروره على سبيل ( الخضة ) .. تجربة كهذه يمكن  
أن تمرض السليم وتشفى السقيم حقًا ..

أخيرًا مر الكابوس فتخلى ( موجان ) المرتجف  
عن الجدار ، ووقف يرمق القطار المبتعد في دائرة  
نور تنكمش عبر النفق .. لشد ما تمنى لو كان فيه  
الآن !

\* \* \*

أما وقد مر المترو فقد وجد نفسه يمشى بلا هدف  
في الممر الطويل وهو يترنح فوق ساقين لا تشعران ..  
لماذا مشى مبتعدًا عن المحطة وقد كان المفترض



أن يعود لها؟ هذه أشياء لا يمكن تفسيرها بالورقة  
والقلم .. أجدادنا وصفوا الموقف بتعبير شعبي حكيم  
- وكل التعبيرات الشعبية حكيمة .. هو : (ساعة القضاء  
يعمى البصر) ..

ربما لأن مرور القطار أذهل عقله ، وربما لأنه كان  
يقدر أن العصابة لم ترحل بعد ، وربما لأنه اعتقد أنه  
يمكن أن يصل للمحطة التالية .. المهم هنا أنه واصل  
رحلته وحيداً في النفق المظلم ، لا يرى إلا على ضوء  
الكشافات الخافتة المعلقة على الجانبين ، والتي كان  
يراهها من نافذة المترو كخط واحد مضيء ..

سمع صوت العواء فارتجف ..

ذئب هنا؟ أليس هذا غريباً بعض الشيء؟

لكنه في موقف سيئ حقاً .. رباه ! إنه موقف  
كريمه مقيت ..

لو كان هنا ذئب أو مجموعة من الذئاب فماذا عساه  
يفعل؟ كيف يركض فوق هذه القضبان؟ وإلى أين يذهب؟

ولكن .. ذئب تحت شوارع (لندن) .. هذا سخف ..  
صوت العواء ليس سخفاً .. لكن لا بد من تفسير ما ..  
تعقل .. تعقل .. تعقل ..

ستنجو .. ستنجو .. ستنجو ..

نظر للوراء . لكنه رأى ما يدعو إلى المزيد من  
الركض في الاتجاه الخاطئ .. لا بد من كثير من الركض ..  
هنا؟ مستحيل ! لا بد أن هذا كابوس .. لسوف يفيق  
منه حالاً ، وتقدم زوجته له القهوة والخبز المحمص ..

راح يركض ويصرخ .. يركض ويتوسل .. يركض  
ويسب يركض ويصق .. يركض ويتعثر .. يركض  
ويبكي .. يركض ويئن .. يركض ويلهث .. يركض  
ويرتجف ..

يركض و ... أنت تعرف هذا النوع من القصص  
بالطبع ..

وعندما مر المترو التالي كان الصخب عاليًا إلى  
درجة أن جدران النفق نفسها لم تسمع الصرخة ..

\* \* \*

## ٢ - أنا من جديد !

### القانون الأول :

لا أحد سوانا .. لأنه لا أحد يقبل أن يكون منا ..

\* \* \*

لله ما أجمل الحياة !

كنت فى هذه الأيام أعيش فترة من الصفاء الروحى الكامل .. حتى بدأت أعتقد أننى مت أخيراً وصرت روحاً شفافة .. لم يعد هناك صداغ ، وتحسن ضغط لى كثيراً لأسباب لا أفهمها .. ومنذ فترة لا بأس بها - حوالى ستة أشهر - لم أر شيئاً أو أسمع قصة عن واحد .. لا بد من لحظة ما يكف المرء فيها عن أن يكون مختلفاً ويصير له الحق فى الحياة كالآخرين .. لقد انتظمت حياتى أخيراً بعد قصة ذراع المومياء إياها ..

والسبب الآخر الذى لا أعترف به - أنا لم أعد

مراهقاً - هو أن (ماجى) كانت فى الموضوع هذه الأيام .. كنت فى (لندن) فى مهمة علمية ، هى الإشراف على طالب دكتوراه لامع يدرس هناك - أعتقد أنه (محمود أبو زهرة) إن لم تخنى الذاكرة - وكان على أن أمضى أسبوعين فى عاصمة الضباب التى كانت تحكم العالم يوماً ما ..

طبعاً لم يكن ممكناً أن أكون فى (بريطانيا) ولا أخبر (ماجى) أننى هنا .. اتصلت بها فى (إنفرنسشاير) فجاء صوتها الأثير العزيز عبر سماعة الهاتف .. لغتها الإنجليزية الراقية وطريقتها العاقلة الودود فى الكلام .. ومن جديد أشعر أننى ذلك الطفل اللص الذى لا يعرف كيف يتصرف من دون (ماما) ..

لا أدرى كيف ولا متى بكيت .. يبدو أننى أمضيت تسعين بالمائة من اللحظات التى قابلتها فيها ، أبكى كالبلهاء وأتمخط فى كم بذلتى ..

- « يالك من طفل ! اهدأ يا (رفعت) .. اهدأ أيها الأحمق .. رباه ! ماذا فعلت الحياة بك يا صغيرى ؟ »

- « لم تفعل شيئاً على الإطلاق .. لعل هذا سبب  
كاف للبكاء !! »

قالت بطريقتها العملية :

- « ليكن .. يجب أن أراك .. متى يناسبك أن نلتقى ؟ »

- « اليوم .. الآن ! »

- « هذا لن يناسبني .. اسمع .. سأكون في ( لندن )  
بعد ثلاثة أيام ولكن لمدة يوم واحد لا أكثر .. لن أستطيع  
إيجاد وقت أكثر على جدول أعمالى .. سأتصل بك قبل  
وصولى على هذا الرقم .. »

ووضعت السماعه شاعراً بالحيرة والتخبط والغباء ..  
إنه ذلك الشعور الذى يشعر به النشال بعد أن يتلقى  
علقة فى الحافلة .. علقه توصله إلى حد عدم الشعور  
بالألم .. إنما هو مذهول وربما يضحك .. إن ( ماجى )  
بالفعل قد تحولت إلى معنى .. مصدر لغوى .. أكثر  
من كونها مجرد فتاة أحببتها .. وأنا أعرف جيداً  
لماذا لم أتزوجها حتى الآن ، لأن الإنسان لا يستطيع

أن يتزوج مصدراً لغوياً أو معنى مطلقاً .. هل سمعت  
عن شخص - مهما كان أحمق - تزوج من العدالة  
أو الحرية أو المروءة ؟

لن أطيل عليكم على كل حال ..

هناك أشياء لا يمكن التعبير عنها بكلمات ، ولو حاولت  
أن تفعل فلن تكسب إلا مضايقة الآخرين .. من يهتم  
بهذه الأمور سيجد الكثير منها فى الكتيب الحادى  
والثلاثين ( أسطورتها ) .. وكما أن مريض الزكام  
لا يتحكم فى أنفه ، كنت أنا وقتها مصاباً بنوع من  
الزكام العاطفى .. وهو نوع من الزكام لا تجدى معه  
كل أقراص فيتامين ( ج ) فى الكون ..

\* \* \*

كنت أقيم فى حى ( كرانفورد ) فى ( ميدل إسكس ) ..  
جوار مطار ( هيثرو ) الشهير .. هذا هو المكان الوحيد  
الذى استطاع تلميذى أن يحجزه لى فى هذا الموسم .. إن  
الحى يوشك أن يكون جزءاً من ( بومباى ) أو  
( إسلام آباد ) من كثرة من فيه من هنود وباكستانيين ،  
لكنى بالطبع لا أهتم بأين أسكن لأنى منطلق على عالمى

الداخلي .. الشيء الوحيد الذي ضايقني كثيراً هو  
كثرة الطائرات التي تهز البيت هزاً والمنطلقة كل  
لحظة من مطار ( هيثرو ) أو المتجهة إليه .. يصعب  
إقناعي بأنني لا أعيش فعلاً في ممر الطائرات ..

لكن الشقة الصغيرة التي حجزها لي لمدة أسبوعين  
كانت مريحة ، وكنت أحبها بحق ، خاصة وأنها تطل على  
حديقة صغيرة جميلة .. إنني لا أرى الزهور إلا نادراً  
وقد احتجت إلى وقت أطول من اللازم كي أتذكر اسم  
هذه الكائنات الرقيقة المبهجة ..

لا أرى الزهور إلا نادراً ، وقد جاءت ( ماجي ) ..  
ثم رحلت ..

فقط سألتني وهي تقف على الباب مودعة :

- « للأبد ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « ستكون ملكي للأبد ؟ »

- « وحتى تحترق النجوم كلها .. وحتى .. »

هنا صاح سائق سيارة الأجرة الإنجليزي متمللاً ،  
لأننا تركناه واقفاً أمام البيت كل هذا الوقت .. ولم تجد  
( ماجي ) بدءاً من قطع العبارة واللحاق بالسيارة ..

وتنهدت وأنا أعود إلى الداخل .. أمامي عشرة أيام  
أو أقل هنا .. سأغرق نفسي في العمل كي لا أفكر في  
شيء آخر .. إن الأنسام لا تدوم للأبد .. إنها ترحل  
بعد ما ترطب وجودك ، لكنك - وهذا قاس - لا تتحمل  
بعد رحيلها فكرة الحياة من دونها ..

\* \* \*

أذكر أنني كنت واقفاً مع طالب الدكتوراه النجيب  
بيدولي الآن أنه ليس ( محمود أبو زهرة ) .. ثمة احتمال  
لابأس به أن يكون ( إبراهيم مينا ) - نتحدث عن  
( لندن ) ، وكنت أحب هذه البلدة بحق .. إن ذكريات  
دراستي هنا لا تبرح ذاكرتي أبداً ..

أول سفر للخارج .. أول بعثة دراسية .. أول حب  
متبادل ..

قال لى ( إبراهيم ) وهو يدفن عنقه فى ياقة  
معطفه فقد كان البرد قاسياً :

- « لم أستطع قط أن أحب إنجلترا .. إنها الضباب  
والبرد والقسوة والتحفظ .. كل هذا فى وقت واحد .. »

- « لنفس الأسباب أحبها أنا بجنون ! »

قال فى اشمئزاز :

- « هنا لا تشعر بالأمان لحظة .. وإبنى لأتساعل عن  
السبب الذى يجعل الدارسين مثلى يأتون بأسرهم .. »  
ولوح بصفحة من ( صنداى تايمز ) تحت أنفى  
وصاح :

- « هل ترى ياسيدى ؟ لا بد من مختلفين .. لا بد  
من أغاز ما .. فى القرن الماضى كان ( جاك السفاح )  
الذى يجوب شوارع ( لندن ) يقطع رقاب النساء ،  
واليوم .. ماذا عن اليوم ؟ »

لم أفهم لأننى لم أكن قرأت الجريدة ، وعلى العموم  
لست من هواة صفحات الحوادث فى أية جريدة ،

لهذا سألت الطالب النجيب .. أعتقد أنه ليس ( إبراهيم  
مينا ) .. لا أدرى لماذا أعتقد أنه ( أحمد عدلى ) ..  
سألت ( أحمد عدلى ) فى برود :

- « يبدو من كلامك أن هناك أشخاصاً مختلفين .. »

- « وأكثر من ذلك .. إنهم قد صاروا عشرة الآن ..  
وكلهم فى وسط المدينة .. فى الساعات الأولى من  
الصباح .. »

- « لقد بدأت أستنتج من كلامك أن هناك عشرة  
أشخاص مختلفين فى الساعات الأولى من الصباح .. »  
نظر لى فى غيظ .. لم يكن طبعاً يعرف ولا يألّف  
طريقتى السمجة فى المزاح ، لذا اكتفى بأن قال فى  
ارتباك :

- « عشرة .. هذا كثير .. والبوليس البريطانى  
و ( سكوتلانديارد ) لا يعرفون شيئاً على الإطلاق .. فقط  
يتظاهرون بالخطورة والغموض ، ويقضون وقتهم فى  
ملاحقة الأجانب بحثاً عن تصاريح العمل .. »

هزرت رأسى لأنه ليس عندى ما يقال ..

ولما كانت الساعة الخامسة مساءً فإتنى فارقت الطالب  
النجيب ( أشرف راشد ) على موعد فى الغد .. كنت  
أريد زيارة متحف ( مدام توسو ) ، لكنى لا أعتقد أنهم  
متحمسون إلى هذا الحد .. إنن هى جولة فى ضواحي  
( لندن ) لأتأكد أننى لم أنسها ، وأنها لم تتغير بعد كل  
هذه السنوات ..

\* \* \*

لم يكن عندنا مترو أنفاق فى مصر وقتها ، وكنت  
أنا منبهر كطفل بهذه اللعبة الإنجليزية التى تركبها  
فتحملك إلى كل مكان تحت الأرض .. وقد ركبتها  
مراراً .. فى كل مرة آتى فيها إلى إنجلترا أقضى فى  
المترو أضعاف الساعات التى أقضيها فوق الأرض ..  
وكان هو وسيلتى المفضلة للذهاب إلى وسط البلد ..

يسمونه الأكيوب Tube فى العامية ، أما اسمه الرسمى  
فهو الـ Underground طبعاً .. وهو يتكون من ثلاثة  
طوابق تربط أكثر من 288 محطة .. ويقولون إن من

يمشى فى ممراته من دون خارطة إنما يستحق  
ما سيحدث له ، لأن الساعة قد تقوم وهو مازال  
لا يعرف أين هو .. أى أنه من الطبيعى جداً أن تقابل  
رجلاً تمزقت ثيابه وطالت لحيته ، أو رجلاً مات من  
الظماً .. إن اللافتات هنا كثيرة .. ربما أكثر من  
اللازم إلى حد أنها تجعلك أكثر جهلاً ، وهو بالضبط  
ما قاله فيما بعد الدكتور ( جلال أمين ) فى كتابه  
المهم ( العولمة ) .. كثرة المعلومات قد تجعلك  
عاجزاً عن اتخاذ قرار صائب ..

المهم أننى لم أحاول فى هذه الزيارة بالذات  
أن أتسلى بأن أضل طريقى فى المترو .. لم  
يكن عندى وقت ولا مال رائق لهذا .. بالإضافة  
إلى أن البرد شديد حقاً لا يغرى بالمغامرة ..

ركبت متجهاً إلى ضاحية ( ميلد إسكس ) كما قلت لك ،  
وجلست جوار النافذة أرمى النفق المظلم بالخارج ..  
هنا شعرت بأن مجنوناً جلس جوارى .. كيف عرفت أنه  
مجنون ؟ هذا سهل .. لأن ثيابه كانت خليطاً عجيباً من

الألوان ، ولأن ذقنه كانت طويلة مشعثة وكذا كانت  
نظرات عينيه ، وكان يخفى في صدر سترته كلبًا  
صغيرًا بحجم الأرنب .. هل هذا يكفي المرء كي يخمن  
أن جاره مجنون ؟ ثمة شيء في مظهرى يروق  
للمجانين والمتسولين ولا أدرى ما هو .. لكنه نوع  
خارق من الجاذبية يدنو كثيرًا من مرتبة السحر ..

قال لى بلهجة حاسمة مسرحية :

- « إنهم هنا .. فى كل مكان .. أعرف هذا .. »

نظرت له وابتسمت باعتبار ما يقوله رائع حقًا ..  
فواصل الكلام :

- « إن الشرطة تتكر ذلك .. هل تعرف السبب ؟

هه ؟ هل تعرف السبب ؟ »

وأخرج زجاجة صغيرة مضغوطة من جيبه ، وفتح  
سدادتها وأفرغ جرعة فى فمه ، ثم - وبإلقاء -  
قربها من فم الكلب الصغير ليلعق لعقة من حافتها ..  
كلب صغير بانس صعلوك مثل صاحبه .. وبالتأكيد  
لا يشغل مكانة مرموقة أو محترمة فى دنيا الكلاب ..



وكان يخفى فى صدر سترته كلبًا صغيرًا بحجم الأرنب ..

أعاد الرجل السعادة للزجاجة والزجاجة لجيبه ثم  
عاد يسألنى :

- « هل تعرف السبب ؟ هه ؟ »

قلت فى ذكاء وأنا لا أفقه مما يقول حرفاً :

- « لأن لهم مصلحة فى الإنكار .. إنها نظرية  
المؤامرة !! »

- « بل لأنهم لا يعرفون ! بالله عليك هم لا يعرفون !  
يتظاهرون بالعلم والسيطرة على مجريات الأمور .. لكنهم  
لا يعرفون ! »

هزرت رأسى ، وقلت بلهجة من ينهى المحاوره :

- « سيعرفون .. سيعرفون .. المهم أن تستمر أنت  
وأمثالك ، وسوف تنتصر الحقيقة يوماً »

ثم أسننت خدى للزجاج البارد ، وصممت أن أتظاهر  
بالنوم كى يتركنى وشأنى ..

لكنى نمت فعلاً بعد يوم طويل شاق ..

\* \* \*

### ٣ - حكاية ثلاث فتيات لم يعدن ثلاثاً ..

#### القانون الثانى :

ما يعرفونه لا يعيننا أن نعرفه .. وما نعرفه لا يصدق  
أحد منهم ..

هن ثلاث فتيات ..

ثلاث فتيات عاملات من الطراز البريطانى ، أى الفتاة  
العالية جداً لا تشعر بأنوثتها على الإطلاق ، والمسترجلة  
قليلاً وإن حرصت على ارتداء أحدث موديلات الثياب ..

ثلاث فتيات هن ..

(مارى) و(اليزابث) و(ساندرا) .. الأولى والثالثة  
زنجيتان .. نعم فالزنجوج فى كل مكان من (لندن) ولهم  
وضع لا بأس به أبداً بالنسبة لزنجوج أمريكا فى أعوام  
التفرقة العنصرية هذه .. حينما كان (مارتن لوثر كينج)  
و(مالكولم إكس) يموتون على أيدى البيض فى الولايات  
المتحدة ..



الفتيات الثلاث يعملن فى مطعم ، ويقمن فى شقة واحدة فى (وست إند) .. وبالنسبة لهن لم تكن الحياة مبهجة جداً لكنها محتملة .. صحيح أن الغد لا يبشر بالكثير .. لكنهن سيتزوجن يوماً ما .. ولئن كانت حياتهن مملة فربما كانت حياة أزواجهن أكثر إثارة .. مازال زوج الغد هدية غامضة فى صندوق مغلق .. ربما هو وسيم مثل (مايكل كين) .. ربما هو ثرى مثل (أوناسيس) .. ربما هو ظريف مثل (بيتر سيلرز) .. وربما لا وجود له أصلاً !

لقد انتهى يوم من العمل الشاق ، ومن تحمل سخافات الزبائن ، لأن الزبون دائماً على حق مهما كان كذاباً وقحاً مدلاً متغطرساً أحمق مدعياً متظرفاً سوقياً سمجاً لزجاً لحوحاً مضلاً أخرق غيبياً متحذلقاً .. لكنه على حق !

لقد بدأ يوم الأحد ، وهو إجازة فى كل البلاد ما عدا فى المطاعم ! لا شىء يتغير فى روتين الحياة ولا شىء يتغير فى النكات التى يتبادلونها .. يبدو أن عليهن الصمت

لمدة عامين إلى أن تتجمع مواضع مشتركة جديدة ..

هن ثلاث فتيات ..

ثلاث فتيات هن ..

وعنهن أكتب هذا الفصل القصير ..

\* \* \*

كانت محطة المترو خالية تماماً فى هذه الساعة المبكرة من صباح الأحد .. لقد اعتدن هذا كما اعتدن ألا يخفن .. فهن معاً وهذه نقطة مهمة .. معاً حتى الوصول إلى البيت والنوم .. وقد علمتهن التجارب أن المتاعب قلما تحدث لثلاث فتيات مجتمعات ..

النقطة الثانية المهمة أن الأولى - (مارى) - تحمل سكيناً زنبركياً فى حقيبة يدها ، بينما الثالثة (ساندرا) تجيد بعض الكراتى من مدرسة حضرتها العام الماضى ، ومنذ عام كسرت ذراع شاب مشاغب ضايقها أكثر من اللازم .. أما الثانية (إليزابث) فتضع فى حقيبة يدها قالباً من القرميد .. وهو طريقة فعالة جداً فى

القتال .. فى هذا الزمن لم تكن أشياء مثل الصاعق  
الكهربى والسبراي تباع فى المحلات هناك ..

وقفن على المحطة ينتظرن المترو ، وهو لن  
يتأخر على كل حال .. وراحت (مارى) و(اليزابت)  
تتبادلان حديثًا هامسًا ، لأن صمت المحطة كان  
يوحى لهما بأن كل ( لندن ) تسمع ما يقولان ..

فجأة سمعن صوت نباح كلب ..

نظرن إلى نهاية الرصيف ، فوجدن أن هناك أربعة  
رجال يمشون فى تودة نحوهم وقد أمسك اثنان منهم  
بكلبين .. كلبين من سلالة مجهولة لكن الكلاب السوداء  
الضخمة عالية الظهر تتشابه على كل حال ..

لم تحب (ساندرا) المنظر كثيرًا خاصة أن الكلبين كتنا  
يتواثبان محاولين الخلاص من الحبلين اللذين يقيدانها ..  
كلبان من سلالة متحمسة تهوى القتل فيما يبدو ..

نظرت لـ (اليزابيث) فى عدم فهم ، فقالت لها فى

هدوء :

- « لا تتحركى ودعيهم يمرون .. »

ووقفت الفتيات الثلاث ينظرن فى رعب إلى القادمين ،  
لكن كل واحدة منهن أدركت أن القادمين لن يكتفوا  
بالمرور .. منظرهم يوحي بالمشاغبة وحب التحرش ..  
والتقطة الأهم أن معهم كلابًا ، وهذه لا يجدى معها  
القتال على الطريقة اليابانية ..

القادمون يقتربون أكثر ويتبادلون عبارات المزاح ..  
هنا هتفت (ساندرا) وهى شبه قائدة هذا الثلاثى :

- « يجب أن نبتعد ! »

كن يعرفن أن الركض سيقطع الخيط الوحيد الذى  
يحفظ عقلانية هذه المواجهة .. هنا فقط سيفتح باب  
الجحيم ويتحول الموقف السخيف إلى مطاردة حقيقية ..  
لكنهن لم يهتمن وبدأن يجريين نحو الاتجاه الوحيد  
المفتوح : نهاية المحطة .. وبدأت الكلاب تنبح وتحاول  
التملص من سادتها اللذين كانت سرعتهن بالطبع  
لا تناسب الكلاب المتحمسة ..

المشكلة أن العودة لم تعد متاحة ، والاتجاه الذي  
يجريين إليه هو نهاية الرصيف حيث تبدأ ( أرض  
اللاإنسان ) التي نعرفها عند نهاية أرصفة المترو ..  
النف الأسود الطويل ..

هنا صاحت ( إليزابيث ) :

- « هذا لن يكون ! إنهم يقودوننا إلى الهلاك ! »  
وطوحت بحقيبتها حول رأسها بضع مرات ، ثم قنفت  
بها - بقلب القرميد - في وجه أحد القادمين ، ولا بد  
أن الضربة كانت قوية إلى درجة أن الرجل سقط على  
الأرض وهو يئن ويتلوى ..

المشكلة هي أن الرجل كان يمسك مقود كلبه ،  
وما كان يحب أن يترك المقود لكنه تخلى عنه ليمسك  
بوجهه .. وهكذا تحرر الكلب وبسرعة البرق طار في  
الهواء ، وكان آخر مارأته الفتاتان المذعورتان هو  
( إليزابيث ) ساقطة على الأرض والكلب ينشب أسنانه  
في عنقها ..

أين الناس ؟ أين رجال الشرطة ؟

راحت الفتاتان تركضان إلى نهاية النفق بينما صوت  
الكلب الثانی - الذي كان فمه فارغاً - يصم أذنيهما ..  
وفتحت ( ماري ) نصل مطواتها الزنبركية ، وصممت  
على أن تببيع حياتها غالية .. لماذا لا يتكلم هؤلاء  
الحمقى ؟ لماذا لا يقولون ما يريدون ؟

الغريب كذلك أنهم لم يحاولوا الإمساك بهما .. كأن  
كل ما يريدونه هو أن يدفعوهما دفعا إلى النفق ..  
ربما فكرت الفتاتان في التوقف والمواجهة لكن بدا  
هذا مستحيلاً في وجود الكلب المتحمس ..

وفي وجود الذعر ..

\* \* \*

كانت ( ماري ) الآن تجرى في الظلام وتنشج :

- « ( إليزابيث ) ! قد تخلىنا عن ( إليزابيث ) ! »

لم ترد صاحبته لأنها كانت تجرى كالظلم ، وإن  
كانت بدورها تنشج ..

تبادلت الفتاتان النظرات وهما تريان الباب المفتوح  
كاشفاً العربة المضينة على بعد نصف متر منهما ..  
هذا أجمل من أن يصدق .. ثم هتفت ( ماري ) :

- « ماذا تنتظرين ؟ »

وكالقرد تسلقت إلى عتبة الباب التي ترتفع كثيراً  
عن الأرض ، ثم تمسكت بقضيب حديدى ومدت يدها  
لصاحبيتها .. فلم تكذب ( ساندرا ) خبيراً ووثبت  
بدورها .. وسرعان ما انغلق الباب من جديد ،  
وألقت كل منهما برأسها عليه مغمضة العينين لاهثة  
غير مصدقة أنها نجت ..

وراح هدير المترو يتعالى وهو يقطع الأميال دون  
كلل ..

كانت العربة خالية إلا من عجوز زنجى جالس يلتهم  
شيئاً من ورقة على حجره .. من الطراز الذى لا يتخلل  
فيما لا يعنيه ، ولا يهمه كثيراً أن يفهم من أين جاءت  
هاتان الفتاتان .. نظرت له ( ساندرا ) وسألته :

ومعا تجرى الفتاتان الزنجيتان جوار قضيب المترو  
فى الممر المظلم الطويل الذى لا تضينه إلا مصابيح  
جانبية خافتة .. لم تنظرا للوراء ثم سمعنا صوت هدير  
المترو القادم .. الأرض تهتز بعنف ..

- « التصقى بالجدار وتشبثى ! »

قالتها ( ساندرا ) بينما الضوء الساطع يملأ الممر  
ويعمى الأبصار ..

ضغطت على أسنانها وكذا ضغطت صاحبيتها على  
أسنانها .. الهول القادم .. قليل من البشر من يتحمل  
فكرة مرور قطار على بعد سنتيمترات منه فى هذا  
النفق الطويل .. هذا مشهد تراه فى الكوابيس ..  
ويصعب أن تتخيل وجوده فى مكان آخر ..

لكن المترو لم يستمر بنفس السرعة .. هدأت سرعته  
رويداً رويداً .. ثم تعالى صوت الفرامل الزاعق مع  
كثير من الدززززز والتشششش والإيىىىى .. ثم  
توقف .. وانفتحت الأبواب ..

- « لماذا توقف المترو هنا ؟ »

هز رأسه ومط شفته السفلى المبرقشة ببقايا الطعام ،  
وقال :

- « لا أرى .. لا بد أن مجنوننا ماجنب نراع الإنذار ..  
هذه الأشياء تحدث ، وفي الغالب لا يجد السائق  
سبباً .. »

مجنون ربما .. لكنه أسدى لهما أعظم خدمة في  
حياتيهما ..

وهمست ( ساندرا ) لصديقتها وهي تمسح الدموع  
من عينيها الحمراء وان :

- « سنبلغ الشرطة بمجرد الوصول لمحطتنا .. ربما  
ما زال من الممكن إنقاذ ( اليزابيث ) البائسة .. »

كانت الفتاتان تتوقعان أن المطارين قتلة أو لصوص  
أو شباب عابث .. وكانتا سعيدتين بالنجاة ، لكن لو علمتا  
حقاً ما هربتا منه ، لانتبهما الذهول أو أصابهما الجنون ..

\* \* \*

## ٤- في ساعة متأخرة ..

### القانون الثالث :

كل حياتهم لنا .. ودمهم مستباح .. لكننا لا نبغى  
أموالهم لأنها منهم .

انتهيت من أعمالي في المستشفى مع الأستاذ الإنجليزي  
( مايكل برايان ) .. وهو رجل قصير القامة له طابع  
مضحك كأنه مندوب مبيعات متحمس ، أو يدافع عن  
قضية خاسرة .. ولم يكن بارعاً إلى الحد الذي يحاول  
التظاهر به .. وهو شيء لم أعتده في الأساتذة الإنجليز  
على كل حال .. إنهم يستعملون في وصف هذا النمط لفظة  
هي Parvenu التي يصعب ترجمتها ( في القاموس معناها  
الحرفي : مستجد ) ، لكنها بدقة تعني الأستاذ الذي يتبختر  
كالطاووس ويحمل شهادات علمية كثيرة ، لكنه خاو  
تماماً ولا يستحق لقب أستاذ ..

لست مسئولاً عن مستوى الرجل على كل حال ..  
في المساء دعيتى طالب الدكتوراه للامع (جميل فرج) -  
أعتقد أنه ليس (أشرف راشد) - إلى العشاء في داره،  
والدعوات في بلاد الضباب لا تكون إلا للعشاء لسبب  
لا أفهمه .. إن الوجبة الرئيسية هنا هي العشاء دائماً ..  
كان يعيش في غرب (لندن) في ضاحية (إلينج  
برودواي) وهي ضاحية تشبه عدة ضواح أخرى في  
(لندن) إلى حد التطابق .. الحقيقة أن (لندن) عبارة  
عن مجموعة من الضواحي المكررة التي تتشابه تماماً ..  
(إلينج برودواي) هي بالضبط (هونزلوبيل) هي  
نفسها (ويست كرويدن) .. وفي كل ضاحية لا بد أن  
تجد شارعاً هو نسخة بالكربون لشارع (أوكسفورد)  
التجاري الشهير في وسط البلد ، الذي يشبه شارع  
(سليمان) عندنا .. حيث تجد كل المحلات المهمة  
والأسماء الشهيرة !

إن الأمر يحدث إلى حد ما في مصر .. فكل مدينة  
- مع فارق الحجم طبقاً - فيها الفجالة الخاصة بها ،

وفيها وسط البلد ، وحي (الحسين) الخاص بها ..  
الخ .. لكنها في (لندن) ظاهرة محيرة ..

كنت زوجة طالب الدكتوراه للامع (سمير عبد الرحيم)  
مصرية ودوداً - ابنة خاله بالمناسبة - أعدت لنا تلك  
الأطباق المصرية التي أحب أكلها وأمقت هضمها ..  
وراحت تطعمني كأنتى فرس النهر ، ثم جلست إلى طرف  
المائدة مع ابنها ذى الستة أعوام ، فقط كي ترى إن  
كنت أريد شيئاً آخر .. قلت لها بغم ملىء بالطعام :

- « ألن تأكلى ؟ »

فقلت كلاماً كثيراً مكرراً عن الرجيم والسمنة ..  
إلخ .. ابتسمت وواصلت الأكل .. وأنا أحاول تجاهل  
الشيطان الصغير الجالس على ركبتيها ، والذي  
ما انفك يقلد طريقي في الأكل ..

بعد العشاء رحنا نتكلم في كلام كثير فارغ لا أول له  
ولا آخر .. طبقاً لم يكن الفتى كما قال يحب (لندن)  
لكنه راح يحكى عن انبهاره برجل الشرطة الذى مشى

وراءه فى الشارع يجمع قشور اللب المتساقطة منه  
- ولم أسأله طبعًا من أين اشترى اللب هنا - والكاميرا  
التي نسيها على مقعد الحافلة ذات الطابقين وكيف  
أعادوها إليه بعد ربع ساعة ، مع خطاب شكر من  
الملكة ، ووسام ومبلغ ألف جنيه إسترليني لأنه إنسان  
رائع .. الخلاصة : قال لى كل ما يقوله من يعيش  
بالخارج للقباعين بالداخل ..

قلت له باسمًا وأنا اعتصر قدح الشاي طلبًا للدفاء :

- « لانتس أنتى حاصل على الدكتوراه من إنجلترا ..  
ليست البلاد بجنة الله فى الأرض كما تصفها .. إنها  
بلد أوروبى له كل مزايا وعيوب أى بلد آخر .. وعلى  
كل حال لقد فررت أمس من مجنون تحرش بى فى  
المترو ! وبمعجزة كدت أتلقى علقة ترد فى كتب  
الأساطير .. »

ابتسم بدوره وقال :

- « لابد أنه سكير .. إن الخمر هى السوس الذى

ينخر فى هذا المجتمع وبنائه الأسرى والاجتماعى ..  
ولكن ماذا كان يريد منك ؟ ما هو موضع الاحتكاك ؟ »

- « لاشيء .. كان مقتنعًا بأنهم فى كل مكان ..  
وأن الشرطة لا تعلم .. »

- « هم ؟ من هم ؟ »

- « هناك ( هم ) دائمًا .. لابد من ذلك .. لكنه وجدنى  
قليل الحماس - وربما قليل الأدب - وثار لكرامته ..  
ولولا تدخل رجل شرطة لهشم وجهى .. »

ضحك ( عمرو لطفى ) كثيرًا حتى دمعت عيناه ، ثم  
قال وهو يحتضن طفله :

- « يجب أن تتعامل مع هؤلاء بأكبر قدر من الحرص ،  
وأن تشعره بأنك مهتم بكل حرف يقول .. »

- « حاولت هذا .. لكنه كان يريد أن أصرخ هلغًا  
وأبكى وألطم خدى من فرط خطورة ما يعلمه .. »

ونظرت للساعة المعلقة على الجدار ، والتي تشير

عقاربها إلى العاشرة مساء .. حقاً أظلت البقاء هنا ،  
والفتى من الطراز التقليدى الذى ينام مبكراً .. لهذا  
أفرغت ما بقى من شاي فى جوفى ، ونهضت شاكرًا  
له هذه الحفاوة والطعام الممتاز .. وجاءت ربة الدار  
من المطبخ بذراعين ملوئتين بالصابون الذى لم تفلح  
فى مسحه فى مريولتها .. وصافحتنى برسغها وهى  
تؤكد أن الوقت ما زال مبكراً .. لكننى شكرتها  
ولثمت الطفل الذى أظهر الإشمزاز من البلل الذى  
أحدثته على خده ..

تناولت معطفى من على المشجب وارتديته ، وكنت  
قد ابتعت طاقة صوفية لزوم تدفئة الصلعة فوضعتها  
على رأسى .. فى (لندن) يبدو منظرى معقولاً ، لكن  
لورأنى أحد فى مصر لحسبنى مخبراً يودى عمله  
جيداً .

وأخيراً وجدت نفسى أنشق هواء الليل البارد الذى  
ينخر نخاع العظام ذاته ..

★ ★ ★

بعد رحلة مرهقة بالمترو عدت إلى شقتى  
فى (ميدل إسكس) .. فتحت الباب وأضأت النور ..  
كنت أتجمد بردًا وشعرت بحاجة ماسة إلى بعض  
الشاي .. لاشيء كالشاي الساخن فى هذا الليل  
البريطانى الذى يجمد الدماء فى العروق ..

كالعادة طبعًا لم يكن هناك شيء منه فى الدار ..  
الشاي من الأشياء التى لا توجد أبدًا حين تريدها ، وهو  
فى هذا يتصرف كرجال الشرطة والمال .. ارتديت  
معطفى وقفازى من جديد وقررت أن أهرع إلى المتجر  
الذى يديره باكستانى على قارعة الطريق .. ولو لم  
يكن الباكستانى يبيع شايًا فماذا يبيع إذن ؟

نزلت إلى الشارع البارد ، وكانت الأمطار قد بدأت  
تهطل ببطء ينذر بالويل لكل الحمقى الذين لن يعودوا  
لديارهم خلال ساعة ، الشوارع زلقة مبتلة لكنها  
كشوارع الإسكندرية لا يتجمع فيها الماء أبدًا ..

كان المستر (كليم الله) واقفًا فى المتجر يرتجف  
كعادته ، فدخلت وألقيت عليه تحية المساء ، ثم طلبت



بعض الشاي .. الكثير منه ، كما انتقيت بضعة معلبات  
تصلح للعشاء اليوم وغدا ..

- « برد .. برد شديد .. »

قالها وأسناته تصطك ، فاصطكت أسناتي مجاملة له ،  
ودفعت الثمن بأنامل توشك على الإصابة بقضمة الصقيع  
برغم القفازين .. ومن مكاتي سمعت صوت سرينة ما ،  
لعلها الإسعاف أو سيارة شرطة .. ثمة حادث وقع فيه  
أشخاص متحمسون ..

قال وهو يضغط على أزرار آلة النقود :

- « لا بد أنها عصابات الشباب اعتدت على  
أحد .. هذا يحدث كثيراً هذه الأيام .. »

ثم - بالصدفة الغريبة - قال وهو يضع النقود في  
درج الآلة :

- « إنهم هنا .. في كل مكان .. أعرف هذا .. »

قلت له الجزء التالي من القصة :

- « الشرطة تنكر وجودهم لأنها لا تعلم .. »

- « بل هي تعلم لكنها لا تمكك العدد الكافي من الرجال ..

لا يمكن أن تعين شرطياً يحرس كل مواطن .. »

وأخرج سكيناً طويلاً يوشك أن يكون سيفاً ، من  
الطراز الذي يفتح به الجزارون عندنا بطون من  
يناقشونهم في التسعيرة ، وقال وهو يلوح به تحت  
حنجرتي :

- « لكنى أتحسب لهم .. دع أى أحقق منهم يأت

ولسوف يرى ! »

لم أشك فيما قال ، فهو من الطراز الباكستاني حار  
الدماء ، الذى يبكى بسهولة ويقهقه بسهولة ، ويقتل  
بسهولة عند الانفعال .. حييته وحملت حاجياتى وخرجت  
إلى الشارع من جديد ..

عرفت أنه أمام باب مترو الأنفاق الذى تهبط منه إلى  
الرصيف ، تقف سيارتا شرطة وسيارة إسعاف ..  
هذا هو سبب السرينة إذن .. الأضواء الملونة لا تكف



عن التفرق فوق معالم المكان ، وتنعكس فوق الأرض  
المبتلة .. ورجال الإسعاف يحملون على محفة ما جسداً  
مغطى بملاءة ملوثة بالدم ، بذلك الشكل الذى يوحى  
بأن صاحبه لن يتعب الأطباء بعد اليوم .. لقد جاءوا  
به من الداخل .. من محطة المترو ذاتها ..

لا أحب هذه المناظر ، لذا ابتعدت عنها .. فليست من  
هواة التطهير Catharsis بروية أغلظ وأشنع ما يمكن  
أن تصل إليه الأمور .. ولم يكن هناك مارة بسبب  
الأمطار لهذا كان الرجال على راحتهم إلى أقصى حد ..  
فجأة سمعت النباح ..

ونظرت إلى جوار جدار المحطة .. فوجدت كلباً صغيراً  
مضحكاً فى حجم الأرنب ، ينبح بصوته الهش الرقيق ،  
وفى حالة عصبية غير طبيعية ، وكان لا يكف عن  
الركض هنا وهناك .. ويلحق المحفة بعينيه وجسده  
الصغير ..

ورجال الإسعاف يحملون على محفة ما جسداً مغطى بملاءة ملوثة بالدم ..

واقشعر جلدی عندما فهمت ..

الآن لا حاجة بي إلى أن أكشف الملاعة كي أعرف  
من ينام على المحفة ..

\*\*\*

٥ - شای وسردین وکلب وجریده ..

( تعرفون بالطبع هذه المواقف )

القانون الرابع :

الباقون منا ليسوا أخوة لك .. الباقون هم أنت ..

\*\*\*

مازلت في الشارع أرمق هذا المشهد المؤلم  
الكئيب ..

بالطبع لم أجسر على اللنو لسؤال رجال الشرطة عن  
كيفية موت الفقيد ، لأن رجال الشرطة البريطانية شديدي  
الكفاءة لكنهم ليسوا ودودين على الإطلاق ولا يحبون  
الفضول .. هذا بالطبع ما لم يحملوني إلى (سكوتلانديارد)  
لاستنطاقني عن سبب تواجدي هنا ..

لم يكن أحد يهتم بالكلب .. في عاصمة الكلاب في العلم

www.dvd4arab.com  
Hany3H  
www.dvd4arab.com

لايشكل هذا الكلب الصعلوك البائس أى ثقل ولا يلاحظه أحد ، وقد أوشكت أحنية القوم الثقيلة على هرسه أكثر من مرة فى حركاته الهستيرية غير المنسقة ..

فى النهاية اندلعت السرينات ثانياً ، وتحرك ركب السيارات .. ووجدتني أقف وحدى تحت الأمطار أرمى الشارع الخالى جوار محطة المترو ..

حقاً لم أستطع التخلي عن الكلب الصغير .. لم أستطع قط .. لقد مات ( أبوه ) وصار يتيماً لايعرف لنفسه مكاناً فى هذا العالم القاسى الممطر .. ودون كلمة أو إطالة تفكير انحنيت وحملتة حملاً مع الشاى والمعلبات ، ففى كل كبد رطوبة أجر ..

كان فى حالة نفسية سيئة وقد حاول التملص منى مراراً أو عقريدى ، لكنى كنت أرتدى القفاز ، وكان ضعيفاً هشاً كالأرنب كما قلت .. ولحسن الحظ كان عواؤه من الطراز الواهن الذى لن يجعل الجيران يشكوننى إلى الشرطة ، وكل الجيران الإنجليز - إن لم تكن تعلم - يعشقون إبلاغ الشرطة عنك لأى سبب ..

عنت لدارى وفتحت الباب وألقيت بالكلب على الأرض إلقاءً .. لا أنوى الاحتفاظ به طويلاً لكن من حقه أن يرحل حين تنتهى الأمطار .. فتحت علبة من السردين وضعتها كما هى على جريدة أمامه .. لكنه لم يبد أى اهتمام بها .. راح ينبج ويتحرك بتلك الحركات العصبية التى تثير الذعر فى نفوسنا كأنها النذير ..

لو كان هذا الكلب محترماً - ولا أظنه كذلك - فلن يذوق الطعام حتى يموت ويلحق بصاحبه .. قلت له بالإنجليزية العامية كى يفهمنى :

- « حاول أن تتماسك .. صاحبك كان سكيراً ومهمشاً ، ولا أعنى بذلك أنه استحق ميتة شنيعة كالتى لا بد أنه مر بها ..

لكن المجتمع لم يخسر الكثير بفقده ، ولو كنت مكانك لنسيته .. الكلاب الذكية هى التى تعرف متى تبدأ البحث عن سيد جديد ..»

لكن هذا لم يحسن حاله كثيراً ، الأمر الذى أكد لى أنه

لا يتقن إلا لهجة ( الكوكنى ) التي كان صاحبه يتكلم بها ..  
قدمت له شيئاً من اللبن وجلست أتأمله وأفكر فى  
الموضوع ..

طبعا صاحبه مات .. وموته لا علاقة له بما قاله لى  
( عنهم ) ، فمن الذى يعير كلمات مجنون أهمية من  
أى نوع ؟ فى الغالب انزلت ساقه تحت المترو فى الوقت  
غير المناسب ، وعلى كل حال أعتقد أن صحف الصباح  
ستكتب شيئاً ما عن الحادث .. ولكن .....

ما هذا الشيء الأحمر فى عنق الكلب ؟ وكيف لم أراه  
من قبل ؟

ركعت على ركبتى وربت على عنقه لأفحص هذا  
الشيء .. إنه جرح دام بالفعل .. لكن الدم تجلط فلم  
يعد ينزف .. جرح قبيح جداً ، ولو كنت طبيبياً شرعياً  
لقلت إنه بفعل أسنان حادة .. لكنى لست والحمد لله  
طبيبياً شرعياً وإلا لامتلأت رعباً ..

كيف حدث هذا ؟ ومن يجرو على عض كلب ؟ الأمر

واضح جلى إذن ، وهو أن هناك ذنباً أو كلباً مسعوراً  
من نوع ما يجول فى أنفاق المترو .. هل هو الذى  
قتل الرجل ؟ هل اشتبك معه الكلب الصغير محاولاً  
إنقاذ صاحبه ؟ لا أعرف حقاً ، لكن على أن آخذ هذا  
التعس إلى طبيب بيطرى غداً .. لا بد أن هناك واحداً  
قريباً ..

أما الآن فقد حان وقت النوم .. لقد تأخر الوقت  
حقاً ..

\* \* \*

فى الساعات الأولى من الصباح التالى ساءت حالة  
الكلب كثيراً ، وراح يرتجف وبئن ويتشنج .. ولم  
أعد أعرف ما يجب أن أعمل به .. أنا طبيب لكنى  
لا أعرف شيئاً عن الحيوانات العجماء ولا أفهم إن  
كان هذا الكلب مريضاً أم حزيناً .. وقد حاولت معه  
كثيراً جداً لكنه لم يتحسن ..

وبعد ساعة لفظ أنفاسه الأخيرة .. لم يكن احتضاره

سينا أو قاسياً بل بدا لي كأنه وجد الراحة أخيراً ..  
الحق أنه كان مشهداً أليماً وجد مكانه على الرف بين  
ذكريات السيئة على كثرة ما رأيت في حياتي .. وكنت  
أحسب أنني لن أتأثر كثيراً لوفاة كلب بريطاني ..

حين انتهى الأمر وجدت نفسي أمام المأزق الأكبر :  
كيف تتخلص من جثة كلب في ( لندن )؟! من السهل  
هنا أن يقتل المرء زوجته ويدفنها في الحديقة ، ويزرع  
فوق قبرها بعض زهور ( الجلادبولس ) التي كانت  
تحبها ، لكن من المستحيل أن تتخلص من جثة كلب  
دون أن تنقلب ( لندن ) عليك ويظهر لك رجال الرقابة  
الصحية من كل صوب ، ولربما اتهموني بقتله وقضيت  
عمرى في السجن ..

المهم أنني تخلصت من الجثة بطريقة شبيهة بأساليب  
رجال المافيا ، وتمكنت من إلقائها في الفناء الخلفي في  
هذه الساعات الأولى من الصباح ، مع تغطيتها بالكثير  
من أوراق الجرائد وأوراق الشجر وأية أوراق أخرى ..  
عدت لفراشي وغرقت في النوم العميق الملىء بعربات

المترو والكلاب والمجانبين .. وحين صحوت من النوم  
كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً .. لقد تسبب حادث  
أمس في إفساد كل جدول مواعيدي لهذا اليوم ..

نزلت إلى الشارع إلى نفس المتجر الباكستاني  
فابتعت بعض الصحف لهذا اليوم ، وعدت إلى داري  
لأطالعها مع الإفطار المتأخر ..

بعد تدقيق وقراءة ممعنة تمكنت من العثور على الخبر  
الذي كنت أريده .. هذا رجل ناقص الأهلية - بلا اسم -  
تم العثور على جثته مساء أمس في محطة المترو في  
( ميدل إكس ) ، ويبدو أن سبب الوفاة نوبة قلبية ..  
لكن الجثة كانت تحمل آثار أسنان .. كأنما هاجمها  
وحش ما بعد الوفاة .. وهذا ذكر الصحافة بحادث  
مماثل وقع منذ يومين لفتاة إنجليزية بيضاء تدعى  
( إيزابيث مورتون ) ، وجدوها ميتة وجثتها تحمل  
آثار أنياب .. كأنما تعرضت لهجوم كلب مسعور ، وفي  
الوقت ذاته أبلغت صديقتها السلطات عن تعرض الثلاثة  
لمطاردة من بعض الأوغاد مسلحين بكلبين ضخمين ..

إن أى شىء يمكن أن يحدث فى ( أنبوب ) لندن هذا ..  
لكن الآن يمكن للقول إن الكلاب هى من فعلها فى المرتين ..  
مع العجوز لم يكن بوسع قلبه تحمل الضغط العصبى ..  
وهاجمه الكلب بعدها .. بينما الفتاة هوجمت حية ،  
ولدينا هنا شهادة صديقتها ورأى الطبيب الشرعى  
الذى - بالطبع - لا يخدع فى هذه الأمور .. ثمة ضحية  
ثالثة هى الكلب البائس الذى توفى من ساعات ، وإن  
كنت لا أفهم حقاً كيف مات من جرح لا أراه شيئاً  
إلى هذا الحد ، وعضات الكلاب ليست عاجلة السمية  
مثل عضات الأفاعى .. لا بد أن فرصته كانت صفراً  
وهو بين أنياب الكلاب الحقيقية الأخرى ..

معنى هذا أن هناك كلباً شرساً لا يقل هولاً عن كلب  
بريطانى آخر هو آل (بلسكر فيل) .. يبدو أن (البلد ذاهبة  
إلى الكلاب) فعلاً كما اعتاد الإنجليز المتحفظون أن  
يقولوا .. هذا الكلب يمرح حرّاً طليقاً فى شبكة المترو  
العملاقة .. لا ليس حرّاً .. بل إن له سيّداً مجنوناً سادياً  
يطارد به خلق الله ..

قلت لنفسي إن على ألا أستعمل المترو فى الأيام  
القليلة الباقية لى هنا .. لقد كفت عن الإيمان  
بقاعدة ( يحدث للآخرين فقط ) من زمن ، وصرت  
متأكداً من قاعدة جديدة هى ( يحدث لرفعت إسماعيل  
فقط ) .. لو كان هناك مجنون يملك كلباً متوحشاً فى  
مترو أنفاق العاصمة البريطانية ، فليسوف أقابله  
بالتأكيد ..

على كل حال ستجده الشرطة حتماً .. إنهم أكفاء  
قارون ، ولا بد أن أكثر من كمين ينصب الآن لهذا الرجل  
الذى لا أتمنى أن أكون مكته .. أرى بعين الخيال الفتاة  
الشقراء الحسناء التى تعمل مع رجال (سكوتلانديارد)  
وتتم مراقبتها بعناية ، بينما هى تمشى وحدها بعد  
منتصف الليل فى شبكة مترو الأنفاق الرهيبة .. ولسوف  
يبتلع الأحقق الطعم ، ولسوف يهاجمها بكلبه .. عندها ..  
ارفع يديك .. لا تتحرك ! لا أدرى إن كان رجال الشرطة  
هنا يطبقون اتفاق (ميراندا) الأمريكى ويقولون للمتهم :  
من حقك أن تلزم الصمت ، وكل ما تقوله قد يتخذ

ضدك في المحكمة .. لا أدري إن كانوا يقولون هذا  
أم ينهالون ضرباً على المتهم دون مناقشة .. لكنه  
بطة ميتة في كل الحالات ..

\* \* \*

نزلت في المساء إلى المتجر لأبتاع شيئاً للعشاء ..  
صحيح أن ما اشتريته أمس لم ينفد ، لكنى ما زلت أتوق  
إلى شيء ما لا أعرف كنهه .. إن عالماً بلا فول  
وفلافل هو عالم لا يستحق الحياة فيه .. أعرف أن  
هناك مطاعم للمصريين في أكثر من مكان ، لكنى  
لا أريد ركوب المترو في ساعة كهذه ..

خرجت من عند البقال حاملاً كنوزى ، وكان المطر  
قد بدأ يهطل معطياً جواً بهيجاً بعد كل ضباب النهار ..  
مشيت عند الناصية التى تقود إلى مدخل محطة المترو ،  
حيث كنت أمس أرمق سيارة الإسعاف .. و ...

شعور غريب ينتابنى بأننى مراقب ..

كيف يشعر الإنسان أنه مراقب ؟ ومتى تثبت له هاتان

العينان في مؤخرة عنقه ؟ إنهما موجودتان منذ الأزل  
لكنه لا يعرف بوجودهما ، وأحياناً يطلق عليهما الحاسة  
السادسة ..

ونظرت للظل الذى يرميه عمود النور المضاء على  
الأرض المبتلة ، فعرفت أن حاستى السادسة ممتازة ..  
هنا سمعت من يقول بلهجة الكوكنى التى يصعب  
فهمها :

- « أنت سرقت كلبى أمس !! »

\* \* \*

www.dvd4arab.com

Hany3H

www.dvd4arab.com



## ٦- أن تدخل النفق ..

### القانون الخامس :

الفطر لا ينمو إلا في الظلام ، ونحن لا نقوى  
إلا حين نخفي سر الأسرار ..

\* \* \*

كان هو بشحمه ولحمه القليلين .. هو نفسه المجنون  
الذي قابلني في المترو .. صاحب الكلب .. فتيل أمس !  
الماء ينساب من حاجبيه الكثين ومن شعره .. فيضيق  
عينيه أكثر ليتمكن من أن يراني جيدًا ..

أجفلت وتراجعت للوراء كأنما أرى شبحًا .. إنه  
يترك ظلًا على الأرض فهو على الأقل ليس خدعة  
بصرية .. هل هو ؟

ثم فطنت إلى ما لم أفطن له من قبل .. من قال

إنه مات ؟ الصحف لم تنشر صورته وأنا لم أر الجثة  
على المحفة .. فقط اعتبرتها قضية مسلمًا بها أنه  
مات ، لأن الكلب كان في حالة تثير الإشفاق ، وكان  
يطارد المحفة ملهوفًا ..

لم أدر ما أقول لكنه واصل الاتهام بشكل واضح :  
- « أنت سرقت كلبى .. رأيتك أمس تحمله .. »

قلت وأنا أحاول أن أكون هادئًا :

- « أنا لم أسرقه .. كان مجروحًا وأخذته لأرعاه ..  
ولكن أين كنت أنت ما دمت رأيت هذا كله ؟ »

- « كنت متواريًا بعيدًا عنهم ، ولم أجروا على اللحاق  
به .. لأنهم كانوا سيعرفون !! »

فهمت .. دائمًا (هم) .. (ماركس) فسر التاريخ بأنه  
(محاولة إرضاء الشهوات) ، بينما هذا الرجل  
الفيلسوف يفسر كل شيء بأن السبب الوحيد (هم) ..

عاد يسألني بإلحاح عدواني وهو يترنح :

- « وأين هو ؟ هل هو بخير ؟ »

ابتلعت ريقى وقد أدركت أن لحظة الحقيقة قد  
جاءت .. كيف سأخبره بهذا ؟ دعك من أنه مجنون ،  
فمن الجلى أن الصديق الوحيد له فى الكون كان هذا  
الكلب .. ليبنى ما نزلت أمس لشراء الشاي ، ولا الليلة  
لشراء البقالة ..

- « كلبك مات ! نعم مات .. تعذب كثيرًا أمس  
طيلة الليل لكنه مات .. »

كنت أتكلم بينما وجهه يكتسى بالهلع والذعر والذهول ..  
شفتاه السفلى ترتجف وعيناه جاحظتان .. ثم تهاوى  
على ركبتيه كما فى مسرحيات قصور الثقافة عندنا ،  
وراح ينشج ويهتز أمامًا وخلفًا .. كان بكأوه يمزق نياط  
القلوب ، ونظر لنا أحد المارة فى فضول عابر لكنه لم  
يعرنا اهتمامًا ، لأن من حقه فى (لندن) أن تجثو على  
ركبتك وتلطم الخدين ، دون أن يلتفت حولك للشارع كله ..

أما ما فعله بعد ذلك فهو أغرب شىء توقعته .. لم يمسك  
بخناقى أو يصرخ طالبًا الشرطة .. فقط راح يركض  
متجهًا إلى محطة المترو ، وهو يردد بلا كلل :

- « ساريهم ! ساريهم !! آه ! لا أحد يقتل كلبى ويظل  
حيًا .. يحسبوننى سهل الهضم .. هه ! »

لقد جن هذا الرجل تمامًا .. أعرف من البداية أنه  
مجنون ، لكنه لم يفقد صوابه بعد إلى حد الجرى بهذا  
الشكل .. لاشك فى أن مشكلته تكمن هناك فى محطة  
المترو ، وأنا لا أفهم بعد حقيقة ما حدث أمس لكننى  
سأحاول منع هذا الأحمق من إيذاء نفسه .. لاشك فى  
أنه سيلقى بنفسه فى التهلكة .. سواء كانت هذه التهلكة  
على يدي من آذاه أمس ، أو تحت عجلات المترو ..

مشيت حثيثًا من خلفه .. خطوت فوق أولى درجات  
السلم الكهربى وتركته يحملنى لأسفل ثلاثة الطوابق  
المكونة لمترو (لندن) ، ورحت أضرب بعينى ذات  
اليمنى وذات اليسار .. لم أره فى أى مكان .. أين  
توارى ؟ من العسير أن تجد أحدًا فى هذه الشبكة  
العملقة المعقدة ..

الانفجار .. حين أعلن أنا أنني ضحية مذعورة ،  
ويعلن هؤلاء عن كونهم وحوشًا .. للأسف إن نهاية  
الرصيف قريبة .. لن أتجاوزها أبدًا لأنه من الواضح  
أن هذا ما يريدون ..

وقفت ناظرًا لهم في ثبات وتحسست جيب المعطف ..  
(حمدًا لله أنه معي ..)

وانتظرت حتى دخلوا مجال إبصارى المتهاك .. كانوا  
ثلاثة لهم ملامح وعليهم ثياب الهيبي .. والهيبي في  
كل مكان من (لندن) في هذه الحقبة ، لكنهم في  
الغالب مسالمون خاملون أشر ما فيهم رائحتهم ..

لكن هؤلاء الثلاثة لم يكونوا من محبي السلام ولا من  
هواة الخرز والزهور .. كانت الشراسة على ملامحهم  
واضحة جلية ، وعلى أنف كل منهم عوينات سوداء  
تخفي نواياه وعواطفه ..

كاذبًا قلت لهم بصوت حاولت ألا يرتجف :

- « ليس معي نقود إن كنتم تبغونها .. لكن معي  
بعض البقالة .. فهل تأخذونها ؟ »

وعلى السلم الكهربى الصاعد كانت مجموعة من  
الراهبات ، وسيد عجوز متأنق نظري في كراهية .. ثم  
بعدها بدا أنه ما من مخلوق بشرى في هذه المحطة ..

وقفت وحيدًا في الرصيف الخالى أنظر يمينًا ويسارًا ..  
الحق أنه مكان مخيف حقًا بعد كل ما اكتسبه من  
سمعة في الفترة السابقة .. لحسن حظى أنني لست  
محتاجًا إلى ركوب هذا الشيء .. لحسن الحظ ..

( هل هذا صوت عواء )

إن بوسعى الآن أن أعود لدارى وأتساءل عن  
مغزى ما قاله هذا الرجل .. وفجأة رأيتهم قادمين  
من بعيد ..

( لا بد من أن أرحل حالاً )

لا يوحى منظرهم بالثقة أبدًا .. هؤلاء مجموعة من  
الأوغاد تكره بالتأكيد أن تفوتها فرصة التلذذ بتعذيب  
شخص مثلى ..

رحت أجد السير مبتعدًا عنهم ، متحاشيًا لحظة

وأنا أحمله انطباع المهدد - بفتح الدال - لا المهدد  
بكسرهما .. لكنه كما يقولون ( صيت لا غنى ) ..

لم يترك لى الفتى طويل القامة خياراً لأنه وثب  
على كالفهد .. وفي اللحظة ذاتها أغمضت عيني ،  
وأطلقت رصاصة .. طاخ !! تردد صوتها فى كل  
أرجاء المحطة ممزوجاً بالصدى ، لكن من الواضح  
أن أحداً لم يسمعه لأن المترو كان يدخل المحطة فى  
هذه اللحظة بالذات واختلط الضجيجان ..

لا بد أننى أصبته .. لا بد أنه جرح جرحاً بليغاً ..  
لم أعرف الحقيقة قط ، لأن الضربات اتهمت على من  
الجهات الست .. ركلات .. لكمات .. سيوف يد .. وتهشمت  
عويناتى .. ثم طار المسدس من يدي بضربة عنيفة  
بشئء معدنى ..

وسمعت من يسبنى بأفطع السباب ، ويقول وهو  
يفرس مخالبه فى وجهى :

- « تلعب دور الرجل القوى ، هه ؟ لكن اللعبة لاتعلم  
فى المدارس يادوك ، وليست فيها بدايات متأخرة .. »

وكنت أعرف جيداً أن النقود لاتكفى هؤلاء ولو كانت  
ملايين .. إنهم بحاجة إلى عنف .. بحاجة إلى ضرب  
وتهشيم عويناتى وتجريدى من المعطف ، ثم إلقاء  
فى الليل البارد بالخارج كى أصاب بالتهاب رئوى ..

قال أطولهم قامة بأغرب لكنة سمعتها منذ جنت هنا :  
- « من أنت أيها الأجنبى كى نكتبه على قبرك ؟ »

- « أنا دكتور ( رفعت إسماعيل ) .. ولا أحب أن  
يكتب اسمى على قبرى بحروف لاتينية .. »

نظر الفتى لمن حوله ، وقال ساخراً :

- « آه .. دوك !! لكننا لا نبغى البقالة يا دوك ..  
إن الدماء هى ما نبغى ! »

لم يعد من مهرب أمامى .. ومن جيب المعطف أخرجت  
المسدس ، وعالجت تريباس الأمان فيه .. كنا فى الأعوال  
السعيدة - قبل أن يصير خطف الطائرات عادة - حين  
كان بوسعك أن تسافر بالطائرة حاملاً سلاحاً .. وأن  
لم أستعمل هذا الشئء ببراعة قط ، ومازلت أعطر

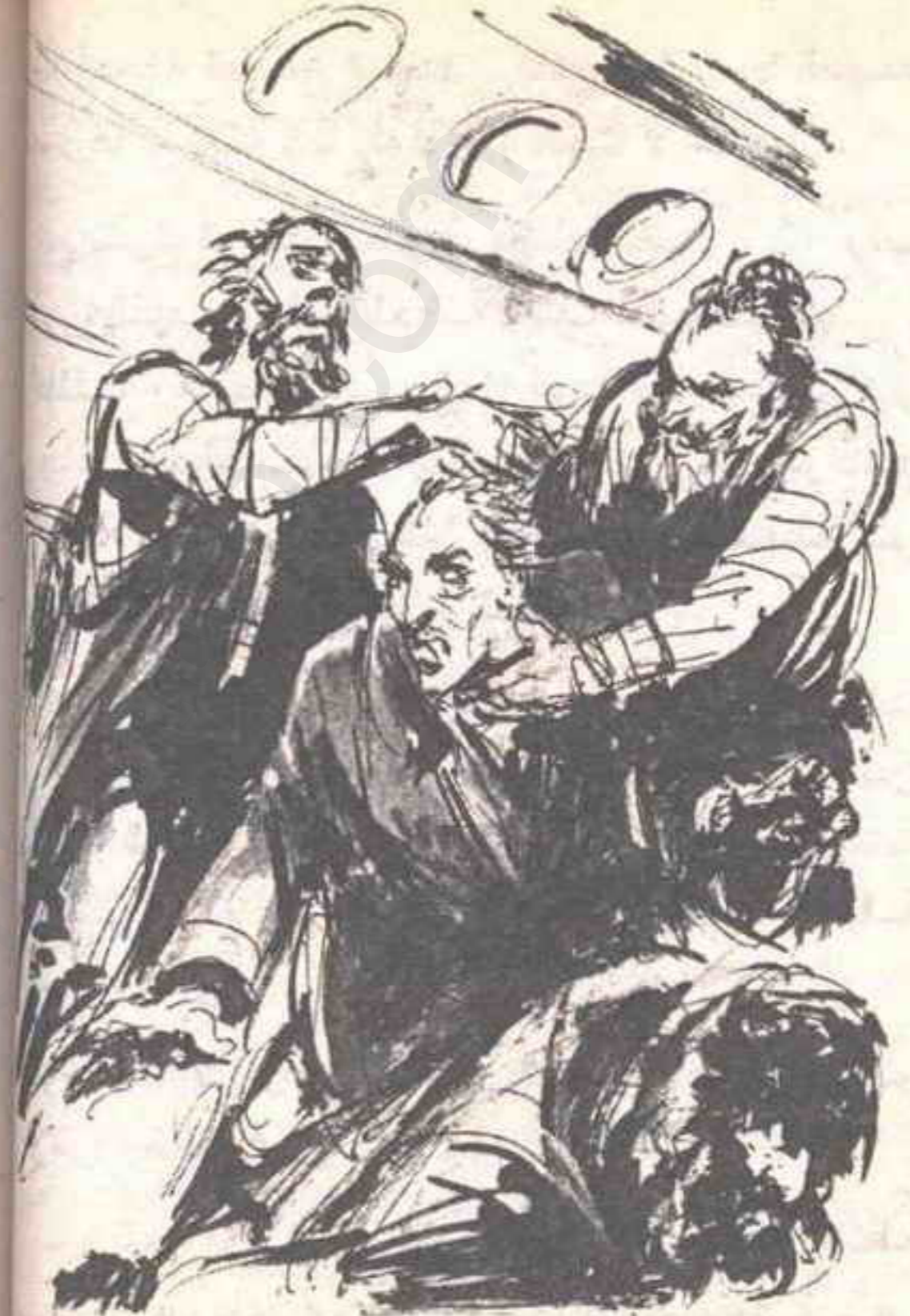
وفي اللحظات التالية غبت عن الوعي تمامًا .. لكنني كنت أفيق من آن لآخر لأدرك أن هناك من يجرنى على الأرض جرًّا .. يد تنقلني ليد أخرى .. ظلام دامس يغلفني ، لكن الأيدي مازالت مستمرة في مهمتها .. أشعر كأنني جرح كبير مفتوح .. وأتساءل : ترى هل ثقبوا رئتي ؟ وهل تحطمت الضلوع ؟

رباه .. لو ظللت حيًّا فاترك لي بعض الأسنان في فمي .. لا تدعهم يسقطونها جميعًا ..

إنهم ينقلونني .. لكن لأين ؟

وساد الظلام بعدها فلم أدرى أين أنا ..

www.dvd4arab.com  
\* \* \*  
Hany3H  
www.dvd4arab.com



لأن الضربات انهالت على من الجهات الست .. ركلات .. لكلمات سيوف يد .. وتهشمت عويناتي ..

كسور أو هذا ما أعتقد ، وأنا أتنفس جيدًا دون ذلك  
الألم الحاد الشنيع المميز لكسور الضلوع ..

الآن وقد اطمأنتت نوعًا إلى أداء آلاتي ، بقى أن  
أعرف أين هذه الآلات ؟

سمعت من يقول بصوت رتيب وبلهجة عجيبة :

- « أنت بخير أيها الغريب .. ستعيش .. »

إن الظلام غير عادل .. إنه يجعلك في وضع واه  
هش .. وربما لهذا يحب رجال الاستجوابات أن يضعوا  
المتهم في غرفة مظلمة ويسلطوا عليه الكشافات .. نظرة  
واحدة في النور ستسمح لي بأن أفهم كل شيء وأتخذ  
عدتي .. أما الآن فأنا لا أعرف إن كنت في قبو أم في  
الإسكيمو .. ولا إن كنت محاطًا ببشر أم غيلان ..

قلت في الظلام :

- « أريد أن أشرب .. »

شعرت بشيء يلمس شفتي .. هذا سائل لكنه ..  
لا .. إنه مر الطعم لاذع قليلًا .. فتقلصت شفتي  
اشمئزازًا .. ومن جديد جاء الصوت :

## ٧- أن تكون معهم ..

القانون السادس :

عاملهم بأشرس ما تستطيع ، فالقسوة رحيمة  
أحيانًا ..

\* \* \*

أول ما لفت نظري هو رائحة العطن ..

رائحة عفنة قوية كاسحة تتسلل إلى الخياشيم وتجعل  
كل تنفسي عملية بطولية .. وكتمت أنفاسي ، لكن لم  
أستطع .. ثلثي شيء لفت نظري هو أنني محاط بالظلام ،  
وأنني ممدد على أرض رطبة ، وأخيرًا رأيت بعض  
المشاعل حولي فأدركت أن هناك بشرًا ..

كانت الكلمات تملأ جسدي ، وكلما حركت أصغر جزء  
ممكن - وليكن جفني - كنت أشعر بأنني أنجزت عملاً  
بطوليًا يستأهل مكاته في تاريخ الملاحم .. لا توجد

- « نحن لانشرب الماء هنا أبدًا أيها الغريب .. »  
كنت قد خمنت أن هذا نوع من الخمور في الغالب ..  
لكني أريد ماء قراحًا أيها الحمقى .. ماء .. من  
جديد قال الرجل :

- « لقد تعلمنا صنع هذا المشروب ، لكننا في البدء  
لم نكن نعرف شيئًا على الاطلاق .. وفي الأيام الأولى  
كنا نشرب بولنا .. نيا ها ها ها ها !! »

وانفجرت الضحكات من كل صوب .. هذه مزحة راقية  
إن وأنا لم أعرف هذا .. واضح من الضحكات أن  
هناك نحو عشرة هنا ، وهم لا يتمتعون بالرقى للأسف  
لأن ضحكاتهم تذكرني بضحكات الجالسين في غرزة  
( شيحة ) عندنا .. هل تعرف هذا النوع من الضحك  
الذي ينتهي دومًا بالسعال والبصاق على الأرض ؟

- « حاولوا أن تجدوا له بعض الماء .. »

وتحرك أحد المشاعل فبدأت أرى الوجوه بوضوح  
أكثر ، وإن كنت أنظر من دون عوينات طبعًا .. كانوا

رجالاً .. لاشك في هذا .. لكن النظرات الوحشية  
المسعورة في العيون البراقة ، والوجوه المتسخة  
التي كادت اللحي فيها أن تلمس الأرض .. والثياب  
التي تشبه الأسمال .. كل هذا جعل من العسير أن  
تعرف أن هؤلاء رجال .. ومن رابع المستحيلات أن  
تعرف عمرهم .. اللحية المشعثة المختلطة بالشيب  
تعطى كل الرجال مظهر الستين ..

كما أن الأمراض الجلدية لم تكن نادرة هنا .. لقد  
ميزت نحو ثلاث إصابات فطرية .. هذا الأنف المتآكل  
والأصابع المتساقطة لدى محدثي .. أتراه الجذام ؟ هذا  
في الظلام فقط ، ولو سطع النور لاستطعت أن أجد  
عشر إصابات أخرى ..

أما عن المكان فأدركت أننا في شيء يشبه النفق ..  
ليس كهفًا لأن جدرانه منتظمة وهناك مواسير ماء  
عتيقة هنا وهناك .. هذا مكان صنعه الإنسان ..

سألتهم وأنا أشعر بأن النور لم يحسن الرعب كثيرًا :

- « من أنتم ؟ »

لم يرد محدثي ، وقال في تودة :

- « أنت قلت إنك طبيب .. »

- « أذكر شيئاً كهذا .. »

- « إن عليك أن تعالج ما أحدثته يداك في (توماس) ..

إنه ما زال حياً ويتألم كثيراً .. بعد هذا ستعالجنا

جميعاً .. »

عدت أسأله وأنا أحاول أن أستجمع جسدي المبعثر

على الأرض :

- « أين نحن ؟ »

- « تحت الأرض أيها الغريب .. تحت الأرض ..

ثق أن أحداً لن يجده لو كنت تفكر في هذا .. »

- « ومن أنتم ؟ »

نظر لمن حوله واهتزت لحيته ضحكاً .. بعد قليل

قال :

- « سمنا العشيبة .. هذا اسم كاف على ما أظن .. »

بعد قليل تحرك أحدهم في الظلام ووضع تحت فمي

قدحاً صديداً .. لامسته بشفتي في حذر فشعرت بمذاق

الماء الساخن .. صحيح أنه ليس أنقى ماء في العالم ،

لكنه يصلح ..

سألت في حذر قبل أن أشرب :

- « هل أنت متأكد من أنكم كففتهم عن شرب البول ؟! »

لم يضحك ولم يعلق .. فقط قال وهو ينظر ليده :

- « ليس بولاً .. والآن عالج (توماس) .. »

تحركت دائرة المشاعل لتحيط برجل منهم على

الأرض .. تحركت على ركبتي لأدخل الدائرة وتفحصته

في اهتمام .. وكان نائماً وسط بركة صغيرة كريهة

الرائحة ..

على الفور تذكرته .. إنه الفتى فارغ الطول الذي أطلقت

عليه الرصاص ، والذي كان يناديني (دوك) .. كان

شاحب الوجه منهكاً لكنه لا يكف عن الأنين .. وعرفت

على الفور أن كتفه ممزقة وقد تلوث قميصه بدم متجلط



غزير .. لقد نسيت الجراحة تمامًا ، لكنى أعرف على الأقل أن هناك رصاصة يجب أن تنتزع ، وجرحًا يجب أن يطهر ..

قلت لهم :

- « يمكن إنقاذه .. لكن ليس هنا ومن دون أية مطهرات أو أدوات .. »

- « اطلب ماتشاء ولسوف يحضره لنا (توماس) .. وتذكر أن حياتك مرهونة بما ستفعله وما ستكتبه فلا تحاول خداعنا .. »

نظرت للجريح وقلت :

- « كيف تتوقع من هذا أن يجلب دواءه لنفسه ؟ »

- « لن يذهب هو .. ظننت كلامي واضحًا أيها الغريب .. سيذهب (توماس) ، فمنظره مقبول قليلاً بالنسبة لمن فوق .. »

- « (توماس) آخر ؟ »

- « نعم .. كلنا هنا (توماس) ! »

نظرت له فى غياب .. كل المجموعة تحمل ذات الاسم .. هذا شيء يصعب فهمه بالنسبة لى .. ماجدوى الأسماء إذن ؟ لقد قابلت موقفًا مشابهًا مع (شعب الأطياف) لكن كان معهم حق وقتها ، فهم لم يكونوا بشريين .. لكن ما الذى يدعو مجموعة من البشر بعد عصر اختراع اللغة كى يفعلوا هذا ؟

كان قلمي ما زال فى جيب المعطف الداخلى .. كان المعطف الآن فى أسوأ حال ، وبدا أنه مجموعة من الثقوب يربطها خيط ما ، لكن القلم لم يتهشم بعد ومعه المفكرة .. فتحت المفكرة بينما قرب منى أحدهم المشعل ، وعلى الضوء للمتراقص كتبت أول عقار أريده .. وتمنيت لو كان بوسعى أن أطلب عوينات جديدة كذلك .. لكنى حاولت التغلب على هذه النقطة بالتقطيب الزائد ، وهى طريقة يعرفها ضعاف البصر الذين يرفضون استخدام العوينات .. لو كان هؤلاء القوم - العشيرة لا ضعاف البصر طبعًا - لا يعرفون القراءة فإن فرصة جميلة تنتظرنى .. إن الغد بهيج حقًا .. لكن على أن أتأكد ..

سألت (توماس) الذى يبدو مظهره مقبولاً كما

قالوا - ليس (توماس) لكنه (توماس) .. لا ادعى للخط - وأنا أقرب المفكرة من أنفه :

- « هل الخط واضح ؟ »

نظر للورقة نظرة كنت أتوقعها .. نظرة خاوية غبية مسطحة ، وقال :

- « جميل .. جميل .. استمر في الكتابة .. »

وهكذا عرفت ما لى وما على ، وكتبت ما أريد من أدوات ، ثم كتبت فى النهاية بخط واضح :

حاول أن تجعل الشرطة تعتقل حامل هذه الورقة أو تراقبه .. لأننى سجين تحت الأرض فى قبضة زملائه ، ولا أعرف حقاً من هم ولا أين أنا .. اسمى دكتور ( رفعت إسماعيل ) .. عنوانى هو .....

وانتزعت الورقة وناولتها لـ ( توماس ) فنظر لها بعينين لا تفقهان .. ثم نظر لى محذراً :

- « إياك والأعيب ! »

قلت له :

- « بالنسبة لسعر الدواء ، فلست متأكدًا .. لكنى واثق من أنك لا تم ... »

دون كلمة واحدة مد يده فى جيب معطفى وانتزع الحافظة .. وفتحها وكبش كل ما كان فيها من مال - ولم يكن ثروة لكنه كثير - ثم ألقاها فى وجهى إلقاءً .. واختفى من أمامى .. هذا الفتى لا يتكلم ولكن يفعل ، وهى صفة حميدة فى الرجال ..

نظرت للرجال كرهى للرائحة المحيطين بى ، وسألتهم فى كياسة :

- « هل من مكان آخر هنا ؟ أعنى مكاناً به منضدة أو ضوء أو أى شىء مناسب .. هذا ليس بالضبط ما يطلق عليه مكان لو فهتم ما أعنيه .. »

سمعت من الظلام من يقول لى :

- « ليس من مكان إلا هذا أيها الغريب .. لكنه رحب كالعالم كله .. كل ماتحت ( لندن ) ملكنا .. يحسبون أن لهم ما فوق الأرض ، لكنه ملكنا كذلك .. »

- « فهمت .. »

سمعت صوت صرير من مكان ما .. وعلى الفور

لم أتل هذا الترف .. تعرفون أنكم لا تفقدون أبدًا الوعي  
حين تريدون هذا ..

هؤلاء القوم لن يجوعوا أبدًا .. كيف يجوع آكل  
الفئران إذا عاش في قبو قديم ؟ بالضبط كما أن الحمل  
لا يجوع أبدًا في مرعى خصيب .. ولكن من هم ؟  
ما سبب هذه الحياة التي يحيونها ؟

ماذا يريدون مني ؟

على كل حال يمكن أن نتأكد من أن لهم علاقة وثيقة  
بالناس الذين يختفون في محطات المترو ، وفي الغالب  
هم من كان العجوز يتكلم عنهم .. إنه يعرف .. لكن  
يعرف ماذا ؟

كنت غارقًا في هذه الخواطر أحاول ألا أنظر إلى  
الأخ ( توماس ) الذي كاد يفرغ من عشائه ، وأختلس  
النظر إلى المصاب الذي يرقد مغمض العينين لا يكف  
عن الأنين .. هنا جاء ( توماس ) الذي أرسلوه لإحضار  
الطلبات ، وتناول مشعلًا كي يريني ما جاء به ، بنفس

اتجهت المشاعل إلى مكان الصوت ، ورأينا فأرًا  
كبيرًا يتسلق ماسورة الماء محاولاً الوصول إلى  
مكان ما أكثر أمنًا .. لكن المشاعل جعلته واضحًا  
كسحابة تعبر أمام الشمس .. بل كالشمس ..  
- « ( توماس ) .. إنه لك !! »

قالوها في حماسة مفاجئة ، ولم أفهم ما سيحدث  
ولا كيف حدث .. لكنه حدث .. لقد هرع الأخ ( توماس )  
- هذا ( توماس ) غير الأول والثاني والثالث - وتسلق  
الماسورة كالقرد وراء الفأر الذي لم يصدق ما يجري ..  
وبسرعة البرق هوى بقبضته عليه ليلتقطه من ذيله ،  
ويقهقه مرحًا ..

أما المشهد التالي فإتني لن أحكيه لكنك تستطيع  
استنتاجه ..

ماذا فعل ( جوناثان هاركر ) حين عاد مضيفه  
( دراكيولا ) من الخارج ، حاملاً العشاء الذي كان طفلاً  
رضيعًا ؟ لقد صرخ وصرخ ثم فقد الوعي .. لأنني

الأسلوب الذي يتبعه المرضى عندما حين يعودون للطبيب بالعلاج الذي اشتروه من أقرب صيدلية ، حتى لا يعطيهم الصيدلي سمًا بدلاً من الفيتامين على سبيل المزاح ..

راح يرص أمامي ما طلبت : جفت .. مبضع .. زجاجة مطهر .. علبة من المضاد الحيوى .. ضمادات .. ورحت أراجع كل شيء فى ذهنى .. كان آخر ما وضعه أمامى هو الجزء الأخير من الوريقة التى أعطيته إياها .. الجزء السفلى الذى كتبت عليه استغاثتى .. وقال بوجه لاهية فيه :

- « هذه هى رسالتك فاحتفظ بها .. لقد استعملت الوصفة فقط ! »

لم أجرو على السؤال ، لكنه رآه فى عينى فقال :

- « كيف عرفت ؟ الأمر سهل أيها الغريب .. نحن لانقرأ لكننا لسنا أغبياء .. نعرف أنك أرسلت استغاثة معنا .. لو لم تفعل لكنت أحمق .. وكان يجب أن تكتب أصناف العلاج فى حالة ما إذا لم يستجب الصيدلي

أو لم يفهم .. لذا كتبت بضع كلمات كل واحدة فى سطر .. ثم انتهت الورقة بسطرين كاملين لا يشبهان بقى الورقة .. فلتقطع نراعى إن لم يكن هذان السطران هما الاستغاثة ..

« لم يكن من داع للمخاطرة .. مزقت هذا الجزء الذى يبدو شاذاً فى الورقة على سبيل الاحتياط .. وأعتقد من نظراتك أنتى لم أكن مخطئاً .. »

لم يكن ثمة داع للإنكار .. إنهم حقاً - كما قال - ليسوا أغبياء ..

أخذت شهيقاً عميقاً ، وقلت للفتى الجريح الممدد على الأرض :

- « سيكون هناك الكثير من الأكم .. الكثير جداً .. »

قال لى ( توماس ) الواقف جوارى :

- « لا داعى للمواعظ أيها الغريب .. لقد اعتدنا الأكم

حتى لم نعد نطبق الحياة من دونه .. »

وهكذا بدأت العملية القاسية ..

\* \* \*

عن الألم الذي يمزقتنى .. عن الجريح الذي يجب  
تحريكه برفق .. عن .. آى !

لم يتركوا لى مجالاً للمناقشة ، وإنما راحت الأيدى  
القوية تتناقضنى كالشئ .. وأدركت أنهم يهبطون من  
مرتفع إلى آخر ، لنجد أننا فى النهاية مغمورون حتى  
الخصور فى سائل لزج كريبه .. وهنا أدركت الحقيقة  
التي غابت عنى كل هذا الوقت .. نحن فى المجارى !!  
نحن فى شبكة المجارى العملاقة العتيقة تحت (لندن) ،  
وهذا الذى نسبح فيه هو إذن ؟!!!!

- « لحظة ! أنا لا أريد أن أمشى هنا ... »

لكن هؤلاء لم تكن مهمتهم الأولى تنفيذ أحلامى ..

لم يكن من ضوء إلا من المشاعل التي يحملونها فوق  
مستوى السائل ، وبدا لى أنهم ينعمون بوقتهم حقاً ،  
بينما لم أستطع أن أتجاهل فكرة أننى أعيش كابوساً  
مجسماً له ملمس ورائحة ..

## ٨ - أسطورة العشيرة ..

القانون السابع :

كنا منهم .. اليوم صاروا لنا .. غداً يصيرون فينا !

\* \* \*

لم يكن ما قمت به جراحة رائعة تدخل التاريخ إلى  
جوار جراحات ( هالستد ) و ( لستر ) .. لكننى على  
الأقل فعلت ما طلب منى ، ولم ينزف الفتى كثيراً ..

قال لى ( توماس ) وهو - كما لاحظتم - لم يتكلم  
حتى هذه اللحظة :

- « الآن أيها الغريب سندخل إلى مستوى آخر  
من الشبكة .. »

لم أفهم ما يعنيه ، لكننى ، كنت هؤلاء القوم يحملوننى  
حملاً أو يجروننى جراً عبر النفق .. قلت كلاماً ما



في نهاية المر الكريه كانت هناك كوة عالية عن مستوى السائل ، فتسلقها أحدهم ، ووقف هناك ومد يده يعينني على الصعود ..

في نهاية المر الكريه كانت هناك كوة عالية عن مستوى السائل ، فتسلقها أحدهم ، ووقف هناك ومد يده يعينني على الصعود .. وسرعان ما كنت أدخل الكوة وأزحف على ركبتي .. يا للاشمئزاز !! لو كان بوسعي أن أغمس جسدي كله في حمض النتريك المركز لفعلت الآن ..

أما المكان الذي دخلناه فلم يكن أفضل حالاً من ناحية الظلام .. لكنه كان مزوداً بمشاعل من الداخل .. وأدركت أنهم يقيمون هنا في الغالب .. وسرعان ما تبينت أن هنا رجالاً آخرين .. بل ونساءً .. بل وأطفالاً ..

الكل كان جالساً على الأرض أو منهمكاً في أكل شيء ما ، ويرمقني في فضول وكراهية .. وكان الجميع يرتدي أسماًلأ بالية قدرة لا يمكن أن تعرف لونها الأصلي .. للون الذي تجده على ثياب صبية الميكاتيكية عندنا ..

في ركن المكان كانت هناك ماسورة مياه عتيقة تهبط من أعلى وتصب تياراً من ماء دافق يبدو أنه

نقى .. والماء ينحدر إلى أسفل ، ليحتشد على الأرض  
ثم يجرى في تيار منتظم نحو فتحة أخرى جوار الحائط ..

قال لى (توماس) :

- « يمكنك أن تستحم هنا لو أرئت أيها الغريب .. »

جميل أن أستحم .. لكن من العسير أن أنتزع ثيابي  
أمام غرباء ، ناهيك عن النساء الموجودات .. ثانيًا :  
لم يكن الجو قد صار دافئًا فجأة .. صحيح أن باطن  
الأرض كان أكثر دفئًا من الهواء الكاسر في الخارج ،  
لكن ما زال الاستحمام بماء بارد جهدًا بطوليًا ..

دنا (توماس) منى ووضع يده على قفائى وصاح  
بلهجة غريبة :

- « هذا طبيب .. صحيح أنه أذى (توماس) ، وجرحه  
لكنه أصلح ما أفسدته يده ، وإبنى لأرى أن نتركه  
بعض الوقت هنا .. فالأمراض تفشت في العشيرة ،  
ونحن بحاجة لواحد .. وأؤكد لكم أنه لن يهرب .. »

هنا نهضت امرأة من بين الجالسين .. أقول إنها

امرأة فقط على سبيل الدقة التشريحية ، لكن الرجال  
كانوا أكثر منها رقة وفتنة ونظافة .. دنت منا وهي  
تغرس مخالبها في شعرها تهرش ، كأنما تحاول  
انتزاع فروة الرأس ذاتها ..

دارت حولي ومدت مخالبها تعصر ذراعى ، وقالت  
في خشونة :

- « إنه هزيل كطفل .. ضعيف كهرة وليدة .. أرى  
أنه لن يستطيع الهرب .. »

قال لها (توماس) فى كياسة :

- « أعرف يا (توماس) أنه لو فعل لا نتزعت  
حنجرته بأسناتك .. »

غريب هذا .. حتى النساء هنا اسمهن (توماس) ..  
هؤلاء القوم مخابيل إنن ، وهذه المرأة أكثرهم جنونًا ..  
حننت رأسها ليصير شعرها أمام عيني يوشك أن  
يلمس أنفى ، وقالت :

- « لو كنت طبيبًا فقل لى ما هذا الذى أصاب رأسى .. »

لم أجتز امتحاناً منذ الدكتوراه ، لهذا انتابني التوتر للحظة ، ثم تذكرت أنني لست مطالباً بإرضاء هؤلاء القوم .. لكن أى طفل يمكنه تشخيص حالتها على كل حال .. الأماكن الخالية من الشعر فى رأسها كانت عدوى فطرية .. هذا طبيعى بالنسبة لقوم يعيشون فى المجارى كما رأيت .. ولعل هذا أهون الشرور ..

وعلى الفور جاء أكثر من واحد يعرض على شيئاً مماثلاً .. الآن تأكدت أن هناك أكثر من ثلاث حالات جذام فى هذا المجتمع العجيب .. هذا ما يبدو على السطح ، فماذا عن الأمراض الخفية ؟ عموماً حالات الجذام المشوهة هى حالات (محروقة) لم تعد معدية .. بينما الخطر كل الخطر فى المريض الذى يبدو مثلى ومثلك ، ولا يميزه سوى بقعة خفية مخدرة فى مكان ما من جسده .. إنه ينفث البكتريا مع كل زفير ..

قلت لهم وأنا أحاول ألا استنشق الهواء الملوث :

- « سأكتب لكم العلاج الذى أستطيعه .. لكن هناك أمراضاً متقدمة هنا ، ولا يمكن علاجها إلا فى مستشفى .. »

وضع ( توماس ) - ( توماس ) آخر لا تعرفونه - يده على كتفى وقال فى رفق :

- « يجب أن تحاول أيها الطبيب .. لا بد من أن تمنحنا سبباً يبرر إبقاءك حياً .. »

كان الأحمق يحسب علاج الجذام هو مرهم وقرصان يبلعهما ..

عدت أسألهم وأنا أتوقع الأسوأ :

- « ماذا تأكلون ؟ انتم بالطبع لا تنوون تركى أقضى جوعاً .. »

- « هناك فئران فى كل مكان فلا تقلق ! »

كنت أتوقع هذا .. لكن ما الذى يرغب هؤلاء القوم على أكل الفئران إذا كان الخروج للعالم الخارجى بهذه السهولة ؟ واضح تماماً أن الأخ الذى ذهب إلى الصييلية لم يبذل جهداً أكثر مما يحدث فى العالم العلوى .. من السهل إذن أن يشتري لهم مخزوناً كافياً وأكياساً من البقالة وأرطالاً عديدة من اللحم والدقيق ..



وكأنما سمع أحدهم ما أفكر فيه (وهي ظاهرة يبدو أنها موجودة لديهم فعلاً ، كأنما حياة الظلام أرهفت حواسهم ) ، فقال لى :

- « لقد اعتدنا لحم الفئران لعقود .. فلم نعد نتحمل (طعامهم) .. لكننا سنجلب لك طعاماً يصلح لك .. »  
وهكذا تم كل شيء بسهولة راقية .. كتبت لهم ما أريد من أوىة .. إن ما أخذه منى (توماس) يكفى الجميع ، ويكفى لأن أعالج العشرة كلها على حسابى .. وفى هذه المرة لم أحاول أية الأعيب .. إنهم أنكباء والغباء كل الغباء أن افترض أنني أنكى منهم ..

ثم إننى نهضت إلى صنوبر الماء المتساقط .. ونزعت من ثيابى ما هو ممكن .. لقد تغلب الأشمئزاز على الحياء .. ورحت أزيل كل هذه القذارة عن بدنى .. من الغريب أن الماء كان دافئاً كما كان الماء الذى شربته منذ قليل .. تخلصت من المعطف فلم يعد ممكناً أن أعيد ارتدائه قبل غسله بإحكام ، وغسلت السروال و(البول - أوفر) وكل مكان تسرب إليه السائل المقرز ، ثم - بالطبع -

لم أجد حلاً إلا أن أرتدى الثياب وأتركها تجف على ، مع ما فى ذلك من خطر ..

قال لى أحدهم وهو يرمقنى فى فضول ودهشة :  
- « تبدو مهتماً أشد الاهتمام بالخلاص من هذه الرائحة .. نحن لم نعد نشمها أيها الغريب .. لقد نسينا رائحة الهواء النقى ذاته .. »  
ثم أردف وهو يشير إلى أحد المشاعل الذى وضعوه مستنداً إلى جدار :  
- « تعال واجلس جواره وحاول أن تجف سريعاً .. »  
سألته وقد بدأت أرتجف بحق :  
- « المياه ساخنة ؟ »  
- « نحن نشعل جوار الماسورة ناراً من حين لآخر كي تبقى المياه دافئة غير متجمدة .. ولو لم نفعل لما وجدت ماء أصلاً .. وعلى كل حال لن تطول فترة النيران .. »

- « لماذا ؟ هل تتوون الانتحار ؟ »

- « لا أحد ينتحر منا أيها الغريب .. لكن الهواء هنا نادر ، وليس من الحكمة أن نتركه للنيران نتنفس به .. لهذا نطفئ المشاعل ، ونخمد النيران في هذه الساعة من كل يوم .. سنتركها لك بعض الوقت إلى أن تجف .. »

وجلست جوار المشعل أحاول أن أتحول إلى شرنقة آدمية ، أو أن أدخل الشعلة ذاتها .. طبعاً لم أجف .. لا أحد يجف بهذه السهولة .. لكن البلل بدأ يكتسب بعض حرارة جسدي ..

وبعد قليل عاد (توماس) بلبافة تحوى بعض الخبز والجبن ، فألقاها في حجري .. وعاد ليتخذ مكانه وسط رجال العشيرة .. الكل يرمقني في دهشة .. كيف يأكل هذا الأحمق شيئاً ليس لحم فئران ؟ نفس الدهشة التي نرمق بها من يأكل الثعابين ..

يبدو أنني نمت وأنا مستمر في الأكل .. لأنني حين صحوت فيما بعد وجدت الطعام مازال في يدي وفمي ..

\* \* \*

لا أدري كم من أيام مرت على في ضيافة العشيرة ..

لا يوجد هنا نور ولا ساعات .. لقد تلفت ساعتى من قبال محطة المترو .. لكننى استطعت الحكم من درجة خشونة لحيتى أن لى هنا ثلاثة أيام مرت كقرن طبعاً .. يمكننى الآن أن أصف لك حياتهم بشكل أكثر دقة ..

إنهم جماعة لا يتجاوز عددها الخمسين .. عدد النساء قليل نوعاً بالنسبة للذكور .. ربما لو فرضنا أن الذكور ثلاثون والأطفال عشرة فالنساء ما بعد سن البلوغ عدهن أقل من عشرة .. قلة عدد الأطفال مبررة طبعاً لأن من العسير أن يكتمل حمل في هذا المناخ غير الصحى ، فإن اكتمل كانت الولادة شبه مستحيلة ، فإن تمت فمن العسير ألا يموت الطفل خلال عام .. هذا جو لم يخلق للأطفال ..

كانت المجارى كلها ملكهم ، وهم يعرفونها كديارهم وينتقلون فيها بحرية تامة .. لكنهم يختارون أمكنة فسيحة بعيدة عن البلل ليعيشوا فيها من آن لآخر .. وحياتهم الاجتماعية لا تتجاوز الجلوس والصمت والبحث عن الحشرات فى رعوس الأطفال ..

كما قلت هم لا يأكلون إلا الفئران والحشرات التي  
تعج بها المجارى ، ولا وجود للطهى عندهم .. ويصنعون  
شرباً ما - نوعاً من الخمر - من بقايا الخبز التي يجلبها  
أحدهم من الخارج ، فهم كما قالوا لا يشربون الماء  
أبداً ، لكنهم بالطبع لا يستقنون عن الماء كأي كائن  
حي .. وإن كنت لا أعرف نفعه لهم فهم لا يغسلون  
ثيابهم ولا يستحمون ، أو لم يسعدنى الحظ برؤية  
أحدهم يفعلها ..

لا يوجد سلم طبقي أو اجتماعي ، لكنهم يثقون  
ب (توماس) - وهو (توماس) آخر فلا داعي للخلط -  
الذي يكبرهم سنًا ، ويبدو أنه من يضع القوانين  
ويشرف عليها هنا ..

بعض هؤلاء القوم يحلقون لحاهم ويلبسون ثياباً  
نظيفة نوعاً هي أقرب إلى ثياب الهيبي .. هؤلاء - مثل  
(توماس) - يعملون كجنود الاتصال أو السعاة بين  
هذا العالم والعالم الفوقى .. ويبدو أنهم أكثر رقيًا وتحضرًا  
إلى حد ما .. ومن الواضح أن لهم مكانة عظيمة في

هذا العالم باعتبارهم يطلعون على أعظم أسرار العدو ..  
طبعًا لو خرج أحد هؤلاء الأرضيين إلى الشارع  
البريطاني لتوقف المرور ، وتصايح الناس هللاً ،  
ولحمله رجال الشرطة إلى المصحة العقلية حالاً ..

هل من وجود للدين في حياتهم ؟ بالطبع لا .. لكني  
أدركت أنهم يمارسون نوعاً من عقيدة عبادة الأسلاف  
التي مارسها كل الشعوب البدائية تقريباً .. الأجداد  
والآباء موجودون ليراقبواهم ويحموهم ويؤذوهم إن  
اقتضى الأمر على سبيل العقاب ..

وفي مجتمع كهذا لا توجد نقود طبعاً .. ما جدواها ؟  
لكن التعامل مع العالم الخارجى يتم بطريقة سهلة  
مريحة : نقودى ! نقودى العزيزة التي لن تعود للأبد  
يشترون بها كل ما يلزم من دواء .. لكنهم - والشهادة  
لله - يشترون لى طعاماً أيضاً ، ولا أعرف ما سيحدث  
يوم ينتهى هذا المخزون ..

أما عن ملامح هؤلاء القوم فهي إنجليزية تماماً ..  
لا يمكن أن تخطئ هذا .. لكن حياة الظلام والخوف

## ٩ - عشاء خاص جدًا ..

### القانون الثامن :

لا أحلام لنا إلا البقاء يوماً آخر .. ولا ذكرى لنا  
إلا ميلاد العشيرة ..

\* \* \*

إن لدى عيباً خطيراً أصارحكم به ، فأنتم لم تعودوا  
غريبين عنى ..

أنا أمقت أكل لحم البشر .. بل - والأدهى - لا أطيق  
وجبات العشاء التي يكون عمادها لحم البشر ..

متى عرفت أن العشيرة من أكلة لحم البشر ؟

لم يتأخر هذا الاكتشاف كثيراً ، لأن لحيتي لم تنمُ إلى  
حد أن تتحول من خشونة إلى لحيية ..

كنا بعد منتصف الليل ، وقد عرفت هذا لأنهم حين  
قال (توماس) وهو ينظر للرجال نظرة ذات معنى :

والقدارة حولتهم إلى وحوش كاسرة تخيف الناظرين ..  
بالإضافة إلى تطورات بيولوجية لا أعرف متى  
ولا كيف حدثت .. إنهم يرون جيداً في الظلام ..  
ولا يتحملون ضوء الشمس أبداً كمصاصي الدماء ..

هل اتضح الآن كل شيء ؟

بالطبع لا ..

أولاً : لم أفهم بعد من هم هؤلاء القوم ، ولا لماذا  
يعيشون تحت العاصمة المتحضرة كأنهم في عصر  
الكهوف ..

ثانياً : لم أفهم ما علاقة المجارى بمترو الأنفاق ..  
هاتان شبكتان منفصلتان أتم الانفصال ..

ثالثاً : - وهو الأهم - ما هي خططهم بالنسبة لى ؟

www.dvd4arab.com  
Hany3H

www.dvd4arab.com

- « حان الوقت .. سيذهب (توماس) و(توماس) و(توماس) .. كونوا حذرين لأن الشرطة بالتأكد وضعت كمان في عدة أماكن .. لا تطمعوا في الضحية الهشة التي تقول: أنا ضحية .. فتاة تمشي وحدها أو رجل تبدو عليه مخايل الثراء .. أنا أتركهما وشأنهما ولا أتصح إلا بهذا .. ابحثوا عن المتشردين .. ابحثوا عن يبدو عليه الفقر ولا يهم أحدًا إن مات أم عاش .. »

ابتسمت في سرى وقد تذكرت ماتخيلته عن كمان (سكوتلانديارد) .. هؤلاء القوم كما قلت ليسوا أغبياء أبدًا .. من الجلى أن نكاههم صنعته الفطرة وحيوة الأخطار ، فهم لم يشاهدوا فيلمًا سينمائيًا ولم يقرعوا جريدة ..

سأله (توماس) وهو ينهض ويرتدى ثياب العمل :

- « هل نأخذ الكلاب ؟ »

- « لا .. إنها تعوى وهذه نقطة ضعفها .. عليكم

الاعتماد على أنفسكم .. »

نهض الرجال وقد تحولوا بالضبط إلى الصورة التي رأيتهم عليها من قبل : فتية هيبى مشاغبون .. يبدو أنهم اختاروا هذا التنكر بالضبط لأنه أقرب إلى شكلهم الحقيقى وإن يكلف الكثير من الجهد .. بالطبع لم يكن (توماس) الذى جرحته معهم .. فهو مازال ناقهاً .. وكانت جروحه فى أسوأ حال ممكن لأن من المحال أن يلتئم جرح فى هذا الجو ..

وبعد دقائق اختفوا فى قلب الظلام ..

لم أدر عم يتحدثون ولا ماذا يريدون بالضبط .. لكنهم بالتأكد يحملون ساعات عصىة لبانس ما اختار إحدى المحطات فى هذه اللحظة .. لكنى مازلت لا أفهم علاقة المجارى بالمetro ..

رحت فى سبات مضطرب كدأبى منذ وصلت إلى هنا .. كوابيس تتداخل مع رؤى مع هلاوس مع أضغاث أحلام مع مشاهد مضطربة للقوم من حولى .. وكان آخر ما رأيت مشهد الرجال يحملون شيئًا ما ..

ومشاعلهم المترافضة تحيط به ، وتلقى على وجوههم  
تعبيرات شيطانية مريعة .. رأيت جنداً آدمياً يبدو أنه  
رجل .. نهضت غير مصدق وفركت عيني مرتين .. لم  
أصدق أن هذا سيحدث وتمنيت أن أكون فقدت عقلي ..

وسمعت ( توماس ) يسألهم :

- « أترأه أتعبكم ؟ »

- « لا .. لقد سقط من أول ضربة .. والمحطة كانت

خالية .. »

وعلى الفور احتشد الجميع كالذئب جالسين القرفصاء  
حول ما كان رجلاً من قبل .. لاداعى لوصف المشهد  
طبعاً لأننى أنا نفسى لا أحب أن أتذكره .. فقط أذكر  
أننى قلت بصوت واهن والتنفس يرهقنى بحق :

- « أنتم لا تفعلون هذا .. لا أصدق أنكم تفعلون

هذا ! »

قال لى ( توماس ) وهو منهمك فى عمله البغيض :

- « لم لا أيها الغريب ؟ إن البروتين - كما تسمونه -  
هو البروتين .. تجده فى اللودة والفار والخروف والإنسان ..  
لكن الإنسان الواحد يكفى لتغذية العشيرة كلها بينما  
نحتاج إلى عشرات الفئران لتشبعنا .. وليس بوسعنا  
تربية الماشية هنا لو كنت تفهم ما أعنيه .. »

- « أنتم .. أنتم .. تفعلون هذا من زمن ؟ »

- « لا .. هذا هو التجديد فى قائمة الطعام الذى  
أدخلناه من عام .. ولكن لا تخف .. ستظل حياً حتى  
نقرر أننا لم نعد نحتاج إليك .. »

وصاحت ( توماس ) المرأة الشرسة إياها :

- « إنه نحيل كقملة .. ولن يشبع طفلاً .. »

هنا فقط كان تماسكى قد انتهى .. وأعلن جهازى  
العصبى الباراسمبثاوى أنه الأقوى .. تهاويت على الأرض  
فانقد الوعي ، وأظن أننى قبلها صرخت حتى بح صوتى ..

\* \* \*

الآن صارت الحقيقة واضحة أمام عيني ..

العشيرة مجموعة من الغيلان لا أكثر ، ومصير هؤلاء الذين اختفوا في المترو أسود من أى شيء يتخيله رجال ( سكوتلانديارد ) .. يجب أن أفر .. يجب ..

ولكن كيف ؟ حتى لو تركوني فلسوف أضل طريقى فى شبكة المجارى الرهيبة هذه ..

فى مساء اليوم التالى جلست جوار الجدار أرمى السقف المظلم ، ولم يكن هناك إلا ضوء خافت قائم من مكان ما ، عليه رأيت ( توماس ) يذنو ليجلس جوارى .. كان يعرق قطعة عظم باقية فلم أجسر على النظر ..

سألته فى اشمزاز :

- « من أنتم ؟ »

راح ينظر لبعيد ، ثم قال :

- « القصة طويلة أيها الغريب .. عمرها مائة عام .. لا أدرى إن كان من الصواب أن أحكيها ، لكنى أعرف

أنك لن تخرج من هنا إلا ميتاً سواء قتلناك نحن ، أوجاءك الأجل .. »

هنا سمعت صراخ ( ليزا ) ..

\* \* \*

كانت فى الثلاثين من عمرها .. كانت جميلة أنيقة أو هذا ما استطعت رؤيته فى الظلام .. جاء بها ( توماس ) - وهو يختلف عن أى ( توماس ) آخر - وهو يحملها على كتفه كما يفعل رجل الكهف مع أنثاه .. كانت تصرخ كصفارة إنذار .. وكانت تعض كحيوان ( الولفرين ) .. وتخمش كالقط البرى ..

لكن القوى لم تكن متعادلة قطعاً .. وفى النهاية تلتقت بضع صفعات ، ثم وجدت نفسها على الأرض تحيط بها النساء الشرسات ، وبعضهن جلس فوقها ليمنعها من الحركة .. واعتصر قلبى حين تخيلت ما رأته من أهوال .. من لحظات كانت عائدة لدارها ، والآن ... مثلنى أنا بالضبط ..

- « نحن نعاني من نقص فيهن .. لذا نحضر أية فتاة هنا لتتزوجها !! »

حككت رأسي الأصلع محاولاً استيعاب هذه المعلومة ..  
حقاً ليس الموت أبشع مصائر الإنسان في هذا العالم ..  
قلت له :

- « لحظة من فضلك .. هل تعنى أنكم سترغمونها على ذلك ؟ »

- « بل سنقبل بكامل إرادتها .. بضعة أيام من الجوع والضرب وترضى أن تصير من نساء العشيرة وأماً لأطفالنا .. إن نصف نساتنا جنن من هذا الطريق .. ولو انتظرنا حتى تكبر الصغيرات فلسوف ننتظر طويلاً جداً ، بالإضافة إلى أن نصف العدد يموت .. لا بد من أن نفعل كالبعوض .. ننجب ملايين الصغار كي يعيش منهم المئات .. »

كانت الفتاة الملقاة تحت كومة النساء تصرخ في مستيريا .. سائلة تلك الأسئلة المملة على غرار : من

قال ( توماس ) وهو يمسح الدم الذي سال من أنفه :

- « كانت على رصيف المحطة .. وخطر لي أن من الخسارة تركها .. »

- « أنت متهور .. فلربما كانت هذه هي كمين الشرطة المرتقب .. »

- « لو كانت كميناً فهم بارعون حقاً .. »

لن أتحمّل المشهد التالي ، ولن أقدر على منعه .. لذا صحت في ( توماس ) وأنا أشعر أن أحشائي تتقلص :

- « هل .. هل ستفعلون بها ما حدث لك .. للرجل الذي ... »

قال باسمًا من وراء ملامحه القاسية :

- « نحن لا نأكل النساء .. »

هدأت قليلاً وقد بدت لي بعض سمات الفروسية في هؤلاء الغيلان لولا أن أردف :



أنتم ؟ أين أنا ؟ الخ .. وهذه هي مشكلة الإنسان .. كل واحد يعتبر نفسه حالة فريدة ويعتبر أن من حقه أن يعرف .. من الخير لها ألا تعرف بهذه السرعة فما زالت أمامها ساعات عصيبة مع العشييرة .. ستزداد حكمة مثلي .. حكمة من الخير ألا تنالها الآن .. كما أنه ليس من العدل أن تعلم الأطفال معنى الموت ..

نظرت لى وتساءلت فى رعب :

- « من أنت أيها السيد ؟ تبدو لى مختلفًا عن هؤلاء القوم .. »

قلت لها فى تهذيب لا داعى له :

- « أنا سجين لديهم يا آنستى .. مثلك بالضبط .. اسمى ( رفعت إسماعيل ) .. طبيب مصرى .. وحاليًا أنا معالج هذه المجموعة الممتازة من السادة المهذبين .. »

- « وماذا يريدون منا ؟ »

- « يمكننى أن أؤكد أنهم لن يقتلوك على الأقل .. »



كانت الفتاة الملقاة تحت كومة النساء تصرخ فى هستيريا .. سائلة تلك الأسئلة المملة على غرار : من أنتم ؟ أين أنا ؟ الخ ..

- « من هؤلاء؟ هل هم غيلان؟ ماسر هذه الوجوه الشائهة؟ »

- « ثمة وباء من الجذام يجتاح هذا المجتمع الصغير.. فكرى فى الأمر كمستعمرة جذام أهلية لاتعرف الحكومة عنها شيئاً »

ولزمت الصمت.. لاداعى لمزيد من التفسيرات ترهق أعصابها..

- « إنها جميلة !! انظر هذه القلادة ! هى ثرية كذلك !! »

قالت هذه الكلمات واحدة من النسوة اللاتى يكبلن الفتاة ، ورحن - كالضبايع - ينتزعن كل ما لديها من حلى وزينة ..

وانتزعت إحداهن شعر الفتاة .. اتضح أنه جمة صفراء ضخمة ، ووضعتها على رأسها المتسخ وراحت تتمايل يمينا ويسارا فى دلال ، وهى تفهقه كالفتوات فى موقف ( عبود ) ..

قلت لها فى سرى : لاتخافى يا صغيرة .. بعد أيام ستكونين شرسة مثلهن وربما أكثر ..

عاد (توماس) يجلس جوارى ، وقال فى فخر :

- « النساء ! لن يتركنها تفلت أبداً .. ماكنت لأضمن ذات النتيجة لو تركت رجلاً لحراستها .. »

قلت له وأنا أحاول تحاشى سماع صوت الفتاة :

- « ما زلت لم تكمل قصتك بعد .. »

بصق على الأرض ، وقال وهو يداعب لحيته بمخالبه :

- « يمكنك أن تصغى أيها الغريب .. والفتاة كذلك ستسمع القصة كى لا أعيدها مرتين .. »

\*\*\*

www.dvd4arab.com  
Hany3H

www.dvd4arab.com

## ١٠ - أسطورة العشيرة ..

( ثمة هاجس غامض يقول إننى استعملت هذا العنوان من قبل )

### القانون التاسع :

لا أحد يملك .. لا أحد يأخذ .. فقط الطعام والشراب  
حق للجميع ..

\*\*\*

بدأت القصة - والكلام هنا لى - من مائة عام ونيف ..

كانت إنجلترا هي جحيم العمال ، وكانوا يعيشون حياة  
الفقران أو أدهى قليلاً .. وهو الجو الذى أوحى لـ (كارل  
ماركس) و(انجلز) - وكلاهما كان يعيش فى إنجلترا -  
أن الشيوعية وثورة العمال على أصحاب العمل لا بد أن  
تنشأ فى هذا البلد .. ومن الغريب أن إنجلترا صححت  
مسارها ، وظفر العمال بحقوقهم وأكثر ، بينما بدأت  
الشيوعية فى روسيا والصين وهى وقتها بلاد زراعية ..

المهم أن حال العمال فى إنجلترا كان فى الحضيض ،  
وحين كتب ( ه . ج . ويلز ) قصته العظيمة ( آلة  
الزمن ) ، تنبأ بأن هؤلاء العمال الذين يعيشون تحت  
الأرض سيتحولون إلى وحوش قوية ، بينما السادة  
الذين يعيشون فوق الأرض سيتحولون إلى كائنات  
هشة غبية أقرب إلى الفراش أو الدجاج ..

فى هذا الجو الملحمى بالضبط كانت النساء يعملن ،  
والأطفال يختنقون فى المصانع ، والرجال يكدون خمسة  
عشر ساعة يوميًا بلا أجر يذكر ..

وفى اليوم الذى نتحدث عنه كان هناك خمسة عمال  
مع زوجات ثلاثة منهم ، يعملون فى شبكة المجارى  
العلاقة تحت (لندن) .. من الغريب أن تعمل النساء فى  
شبكة المجارى ، لكن هذا كان معتادًا وقتها ، وكان  
الرجال فى حاجة إلى اليومية التافهة التى تنالها  
زوجاتهم ..

متى حدث الانهيار ؟ لا أحد يذكر .. يبدو أن جزءًا من  
السقف كان هشًا ، وقد سقط فوق هؤلاء لكن أحدًا لم يمت ..

وحين أفاقوا من ورطتهم أدركوا أنهم سجناء ..  
أدركوا أنه ما من سبيل للخروج ..

قضوا أيامًا سوداء في الظلام يصرخون ويحاولون  
الخروج .. لكن من الواضح أن العالم الخارجي نسي عنهم  
كل شيء .. ويبدو أن الانهيار لم يؤثر في أرضية  
الشارع .. ربما جرت بعض المحاولات للبحث عنهم  
لكنها حتمًا لم تكن جدية إلى هذا الحد ..

يا لها من حياة !

إنهم يستعجلون الموت لكنه لا يأتي .. وهم ينتظرون  
في أقذر مكان في (لندن) في الظلام الدامس الذي  
بدأت عيونهم تعتاده ..

وفي النهاية قال أكبرهم سنًا وهو عامل من  
(ويلز) يدعى (توماس كوتون) :

- « يبدو أننا سنعيش .. لكن علينا أن نعرف كيف  
نفعل هذا .. »

وكان الدرس الأول الذي تعلموه حين فرغ ما معه

من ماء أن يشربوا البول .. والدرس الثاني أن يأكلوا  
الفران .. لا أعرف حقا كيف يستطيع الإنسان أن يفعل  
هذا ، لكن من الواضح أن عذاب الجوع والظما يفوق  
أي اشمزاز ..

وبعد وقت قصير وجدوا شرخًا في الجدار ينز الماء ،  
فانتهت مشكلة الظما بالنسبة لهم ..

وهكذا بدأت حياة من أغرب وأقسى ما يمكن تصوره  
تحت (لندن) الغافلة المليئة بالمفكرين والحالمين  
والعلماء .. كانت هناك مجموعة من الأحياء تعيش في  
شبكة المجارى وتحاول أن ترتب حياتها يوماً بعد يوم ..  
ومن الغريب أن تتصور ما يصل إليه الإنسان من قدرة  
على التكيف مع الوقت ..

لم يتمكنوا من العثور على فتحات للخروج .. تحولوا  
مع الوقت إلى فران ترحف في الظلام .. بدأت الزوجات  
بنجبن .. ظهر أول جيل من رجال النفق .. ومن الطريف  
أن اسم الجميع كان (توماس) نسبة لمؤسس هذا  
المجتمع ، وكراهية للأسماء التي يحملها من يعيشون  
على السطح ..

ومع نمو الصغار كانت المبادئ الأولى قد بدأت تتشكل :  
نحن وحيدون .. السادة فوق الأرض تخلوا عنا ..  
نحن هنا بسببهم .. إنهم أعداؤنا للأبد ..

ومع مرور السنين بدأت فكرة العشيرة تنمو ..  
وكانت الحاجة لها ماسة مع ظهور كل الصغار الذين  
لم يروا النور يوماً واحداً ، والذين لم يعرفوا لهم  
وطناً إلا هذه الأنفاق العفنة ..

صاغ (توماس) فكرة العشيرة وصاغ قوائينها  
العشرة .. وهي عبارات ملتفة جداً يصعب فهمها لكنها  
تدور حول الفكرة ذاتها : رفض الآخر والاعتراب ..

القانون الأول : لا أحد سوانا .. لأنه لا أحد يقبل أن  
يكون منا .. ( ومعناه ببساطة أننا لانبالي بالآخرين  
ولانعمل لهم أى حساب لأنهم يرفضوننا .. )

القانون الثانى : ما يعرفونه لا يعيننا أن نعرفه ..  
وما نعرفه لا يصدقه أحد منهم .. ( وهو واضح  
المعنى ) ..

القانون الثالث : كل حياتهم لنا .. ودمهم مستباح ..  
لكننا لا نبغى أموالهم لأنها منهم .. ( مفهوم أيضاً ) ..

القانون الرابع : الباقون منا ليسوا أخوة لك .. الباقون  
منا ليسوا أخوة لك .. الباقون هم أنت .. ( معناه أن علاقة  
هؤلاء ببعضهم تتجاوز الأخوة .. إنها علاقة الذراع  
أو الساق بصاحبها ) ..

القانون الخامس : الفطر لا ينمو إلا فى الظلام ، ونحن  
لانقوى إلا حين نخفى سر الأسرار .. ( دعوة للسرية  
والكتمان )

القانون السادس : عاملهم بأشرس ما تستطيع ، فالقسوة  
رحيمة أحياناً .. ( هذا الكلام يعيننا .. العنف يخيف  
الناس ويمنعهم من التدخل فى شئون العشيرة .. وبالتالي  
يقلل ما سيحدث لهم من أهوال ) ..

القانون السابع : كنا منهم .. اليوم صاروا لنا ..  
غداً يصيرون فينا ! ( كنا يوماً عمالاً لديهم .. اليوم  
صرنا نخطفهم .. غداً نأكلهم ونهضمهم ليصيروا  
جزءاً منا !! )

القانون الثامن : لا أحلام لنا إلا البقاء يوماً آخر ..  
ولا نكرى لنا إلا ميلاد العشيرة ..

القانون التاسع : لا أحد يملك .. لا أحد يأخذ .. فقط  
الطعام والشراب للجميع .. ( وهذه اشتراكية فطرية ) ..

القانون العاشر : من صار منا لا يتركنا إلا إلى بركة  
الديدان .. إنه الآن حر .. ( وهو تحذير مخيف لأمثالي ..  
بركة الديدان هي بالطبع مقبرة هؤلاء .. »

مر الزمن ومات الجيل الأول من الآباء .. إن التخلص  
من الجثث في شبكة مجار ليس بالأمر العسير على  
كل حل .. وتكاثرت العشيرة في ظروف بالغة الصعوبة ..  
وما كان لأحدهم تعامل مع الخارج ، لكن بمرور الوقت  
عرفوا أن بوسعهم - بالكثير من المخاطرة - الخروج  
من فتحات البالوعات الجديدة التي وضعتها البلدية ..  
وجرب بعضهم أن يخرج فأصابه الهلع من المدينة  
لمعصرة ، بالإضافة إلى أن نور النهار ألم عيونهم جداً ..  
وما لبث أن تعلم عدد محدود منهم أن ينتصر على

رعبه .. تمكنوا من سرقة بعض الثياب من شباب  
الهيبي الذين ينامون على الأرصفة ليلاً .. وصاروا  
يتنكرون من حين لآخر ويخرجون في الليل .. هؤلاء  
هم ( توماس ) و ( توماس ) و ( توماس ) وطبعاً  
( توماس ) .. لا يمكن أن ننسى هذا الأخير ..

هؤلاء الذين خرجوا تعاملوا نوعاً مع الخارج ، ونقلوا  
بعض مصطلحات الحضارة إلى الداخل ، وكانت اللغة  
الإنجليزية لم تنقرض كما توقعوا .. صحيح أن لغتهم  
كانت عتيقة نوعاً ، لكننا في ( لندن ) المعاصرة حيث  
يستعمل كل واحد لغة إنجليزية خاصة به ..

أما الاكتشاف الأعظم الذي عرفوه فهو مترو الأنفاق  
أو ( الأنبوب ) .. لقد تمكنوا من حفر عدة أنفاق تربط  
شبكة المجارى بشبكة المترو بعد مغادرته المحطة ..  
هكذا صار بوسعهم أن يدخلوا ويخرجوا دون مخاطرة ..  
كان هذا حين بدأت الأمراض تنفث في المجموعة ،  
وبصفة خاصة الداء الوبيل الذي يقضى على الإحساس  
وتتآكل الأطراف منه ( ومن المثير للتأمل أنهم في الغالب

جلبوه من الخارج ، لأن الجذام لا ينشأ من عدم ) ووجد الرجال أن عليهم تغيير نوع الطعام لأنهم افترضوا أن طعامهم هو سبب ما فيهم .. إن الفئران لم تعد تناسب الجميع بالإضافة إلى قتلها .. ونبتت فكرة الاغتذاء على البشر .. هذا مصدر جيد للبروتين بالإضافة إلى ما يبشر به من لذة الانتقام ..

وكانت العملية سهلة نسبيًا لأن رصيف المترو كان يخلو من البشر عند منتصف الليل .. فقط لا بد من واحد ينتظر المترو وحيدًا .. يمكن تخويفه ودفعه دفعا إلى الأنفاق المظلمة حيث ينتظره الآخرون .. ويجرونه من أحد الأنفاق التي تقود إلى المجارى .. وهناك يكون العشاء ممتازًا .. لم يرفض أحد الفكرة لأن من يأكل الفئران يمكن أن يأكل أى شىء آخر .. وقد استخدموا الكلاب أحيانا بعد ما حصلوا بالسرقعة على ثلاثة جراء ربوها معهم .. وكانت الكلاب مفيدة دائما فى تخويف الفريسة أو مطاردتها ..

فى البدء جربوا أكل النساء ، ثم وجدوا أنهم بحاجة

لبعضهن كزوجات حتى لا تنقرض العشيرة .. رأى أنه من الخير لها أن تنقرض ، لكن رأيهم يختلف على كل حل .. وقد خطفوا بعض الفتيات ، وعذبوهن ومنعوا عنهن الطعام ، حتى أصبن بنوع من غسيل المخ الكامل ، واتضمنن إلى العشيرة .. وبعد سنين يصرن من المتحمسات المخلصات الكارهات للعالم الخارجى ..

بقى أن أقول إننى لم أعرف قط مصير المتسول الذى حذرني من ( هم ) .. لكنى أعتقد أنه رآهم كثيرا جدا ، وكان يخشاهم .. وفى ليلة رأى عملية قتل لم تكتمل بأخذ الجثة إلى المجارى .. لا بد أن الجثة شوهدت وفر هؤلاء هاربين .. بينما حسبت أنا أنه هو القتل .. كلبه الصغير تلقى عضة قاتلة من كلب أو إنسان لا يهم .. المهم أنه مات .. أما الرجل فقد جرى إلى محطة المترو متكلما عن الانتقام .. فهل ظفروا به ؟

\*\*\*

## ١١ - إلى النور ..

### القانون العاشر :

من صار منا لا يتركنا إلا إلى بركة الديدان .. إنه  
الآن حر ..

\* \* \*

كمن يوماً مر علينا هنا ؟ لا أدري حقاً ..

الفتاة ؟ إنها جالسة في الركن متكومة على نفسها  
لا تفعل ولا تقول شيئاً .. فقط ترتجف ، وقد صار  
مظهرها مثيراً للشفقة بعد كل ما سرقته النساء منها ..  
النساء اللاتي جلسن في أحد الأركان يلتهمن فلراً سميناً  
ويتشاجرن عليه .. لم يقدم لها أحد شيئاً من الطعام ،  
لهذا انتهزت فرصة معينة ورميت في حجرها بعض  
الخبز والجبن ، وأمرتها أن تأكل فوراً ..

ظلت ترمقني في غياب بعينين من زجاج .. وأنا  
لا أطيق الغباء حين يتعلق بحياتي ذاتها ..

- « كلى يا حمقاء .. إن هذا الخبز ليس له إلا مصدر  
واحد : أنا .. ولسوف يحرمونني منه لو عرفوا .. »  
لكنها لم تقل شيئاً وظل الخبز ملقى هناك ..  
- « أمرك أن تأكلي ! »

فلما طال الأمر مددت يدي ووضعت الطعام في  
جيبى .. مادامت لا تنوى التفكير بطريقة عملية ،  
فلست مستعداً للموت جوعاً بسببها .. ربما الموت  
بطريقة أخرى غير الجوع كذلك ..

جلست جوارها ، وقلت في تودة :

- « ما اسمك ؟ أنا لم أعرفه بعد .. »

- « (ليزا) .. أنا سكرتيرة .. لكني كنت أزور صديقة  
لى فى ( هونزلو بيل ) فى ساعة متأخرة .. »  
ثم بعد صمت قالت لى :

- « هل لديك خطة ما للمستقبل هنا ؟ »



- « الهرب طبعًا .. لكنى لم أعرف كيف بعد ..  
حتى لو تركونى أهرب فلن أجد الطريق المناسب هنا ،  
وسأنتهى هيكلاً عظيمًا وسط الماء الآسن .. »

نظرت للسقف وهمست فى غل :

- « لو كانت هناك فتحة مجار قريبة لأريتهم .. »

هذا تفكير جميل .. لكن العقل البريطاتى لا يفهم أبدًا  
أن (لو) أداة امتناع لامتناع .. وأنها تفتح بابًا للشيطان ..  
وأنها .. حتى حيلتى القديمة بالتظاهر بالمرض لن  
تجدى لأنهم سيسرعون بالتهاوى بنفس المنطق الذى  
يسارع فيه الفلاح إلى ذبح البقرة المريضة كى يفيد  
من لحمها ..

ثم حدث شيء غريب ..

\*\*\*

لقد دخل أحدهم المكان الذى ننام فيه . فتحت عيني  
فعرفت أن هذا (توماس) ..

١٣٠

هرع ليوقظ (توماس) و(توماس) والآخرين ..  
ثم ركض ليطفى المشعل الوحيد الذى كان ينير  
المكان ، وهمسًا صاح :

- « عمال المجارى ! تواروا بسرعة !! »

نهض الرجال والنساء ، وكملت الأمهات أفواه  
أطفالهن ليخرسن ، على حين صاح (توماس) وهو  
يخرج سكينًا عملاقًا :

- « غريب هذا .. لم يصل أحدهم إلى هنا منذ  
مائة عام !! »

- « لا بد من مرة أولى .. »

وبالفعل سمعنا الضجيج لرجال يتكلمون عبر الممر  
التالى للمجاور لنا .. وبدأ هدير آلة ما لعلها مولد  
نور أو شفاط عملاق .. كانت تهز النفق الذى لم  
يهتز منذ دهور ..

قال (توماس) وهو يلوح بسكين آخر (لأنه  
توماس آخر) :

١٣١

- « كم عددهم ؟ »

- « لا أدري .. ربما هم ثلاثة أو أربعة .. »

- « إذن هناك ثلاثة أنصبه من اللحم لكل منا .. »

حتى أنا لم أستطع أن أظل أخرس أمام هذه الحمافة ،  
وقلت في كياسة :

- « ليست المشكلة في قتل هؤلاء .. المشكلة أنه

لا بد من أن يبحث عنهم أحد .. و ... »

ثم قررت أن ألزم الصمت نالماً على ما قلت .. ليس

من واجبي الحفاظ على سرهم ، لكنني لا أتحمّل الحمافة

حين يمارسها أمامي أحدهم بوجه صلب ، حتى لو كان

في هذه الحمافة نجاتي .. وبالفعل همست الفتاة :

- « لماذا لا تصمت ؟ هل أنت معهم أم معنا ؟ »

فكر (توماس) قليلاً ، ثم غمغم وهو ينظر للسكين

مفكراً :

- « أرى أن علينا أن نهجم .. لقد تجاوزنا مرحلة

الصمت والخوف .. وفيما بعد لن نجدونا .. لا أحد

يستطيع تمشيط شبكة مجارى (لندن) مهما حاول .. »

حقاً هو محق .. لا أحد يمكنه تفتيش هذه الشبكة

العملاقة .. حقيقة عرفها البريطانيون من زمن ..

وفي أكثر قصص الرعب القوطى على غرار ( شبح

الأوبرا ) وسواها ، كان عالم كامل من الشر يعمل

داخل هذه الشبكة ...

بنظرة ذات معنى تفقدنا ، ثم قال لرفاقه :

- « فلتتوار النساء والأطفال ، أما كل قادر على

القتال فليتبغنى .. »

\* \* \*

كنا الآن - نحن النساء والأطفال - نتوارى في ما يشبه

الكهف الملىء بمواسير الصرف ومواسير المياه وله

ثلاث نوافذ تطل على ثلاث سراديب مختلفة .. ومن

فتحة مستطيلة تشبه الشباك كان بوسعى من منظور

مرتفع أن أرى الرجال وهم يعملون فى الظلام .. طبعا

من دون عوينات كنت أرى خيالات ، لكنى تمكنت من فهم مايجرى .. وبالطبع اعتمدت على طريقة تضيق فتحة العين وتقطيب الجبين ..

كانوا أربعة ، وكانت معهم آلة عملاقة هي التى سمعنا مديرها .. تتلقى الكهرباء من كابل عملاق فوق الأرض .. وكان كل رجل من الرجال يضع على رأسه خوذة مضيئة كعمال المناجم ، ويحمل أداة تشبه حفار الطرق الذى نعرفه .. جوار كل منهم كانت حقيبة غذائه الصغيرة ، ومعها تورمس القهوة ، وكانت رائحة المكان تفوح بالغازات .. الميثان وكبريتيد الهيدروجين .. بينما هم يقفون فى السائل الكريه الذى يصل حتى الركبتين ..

يبدو أنهم هبطوا باستعمال الدرجات القديمة المنحوتة على جدران النفق فى السرداب المجاور ، لأن الحبال والأسلاك كانت تمتد إلى هناك .. وزحفت على بطنى ونظرت عبر كوة صغيرة على الناحية الأخرى ، فلم أر إلا الظلام لأن السرداب كان بلا أضواء .. عنت زحفاً على بطنى لأرملق مصير العمال ، وشعرت بعشرات

الأنفاس الكريهة تحتشد حولى .. لقد كان الجميع هنا يحاول أن يرى المعركة بوضوح واستمتاع ..

من هناك استطعت أن أرى أحدهم يلتفت للآخرين ، ويقول شيئاً ما .. والآخرون يكفون عن العمل ..

من هناك استطعت أن أرى التوتر فى وجوههم .. من هناك استطعت أن أسمع الصمت ، وللصمت أحياناً صخب يصم الآذان ..

ثم حدث الهجوم بسرعة وقوة لا يمكن تصديقهما ، وهما جديرتان يقوم بصطادون الفران بأناملهم على كل حال ..

كان العمال ينهالون بالكلمات على مهاجميهم ، لكن هؤلاء كانوا يتحركون بثقة فى النفس كالعادة ..

تراجع أحد العمال البؤساء للوراء ، وألصق ظهره بالحائط ، وراح يلوح مهدداً هذه الغيلان بالمشاب الذى يحملة فى يده .. ورأيتهم يلتفون حوله فى دائرة ، وكأنهم يقولون له كلاماً على غرار : هلم يافتى .. لاداعى لهد الألعاب السخيفة ..

لكنه واصل تحريك المثقاب محدثًا دوائر وهمية  
في الهواء ..

ثم سمعت صوت النباح من بعيد .. لقد وصلت  
الكلاب .. وفي اللحظة ذاتها تهاوى أحد العمال بينما  
حزت سكين ( توماس ) وريذاً مهماً في عنقه ..

كانت الإثارة في ذروتها والكل يرمق ما يحدث في  
نهم .. خاصة العامل الذي يرفض الاستسلام ، والذي  
- فعلاً - نجح في أن يخترق بمثقابه صدر أحد الرجال ..

نباح .. صياح .. صراخ .. هدير مثقاب ..

إن من لا يهرب وسط هذا السيرك الروماني لن  
يهرب أبدًا ..

\* \* \*

وزحفت على ركبتي إلى الكوة الأخرى ، وجررت  
جسدي عبرها .. نظرت للوراء فوجدت الفتاة ترمقني في  
توسل كي أخذها أيضًا .. لم يكن ثمة وقت لهذا .. فأنا  
لا أعرف مدى الخطأ الذي ارتكبته .. ربما أنا مخبول ..



نظرت للوراء فوجدت الفتاة ترمقني في توسل كي أخذها أيضًا ..  
لم يكن ثمة وقت لهذا ..

ربما أنا مجنون .. لن أسمح إذن بأن يدفع واحد آخر  
ثمن خطاياي .. ثم إن الفتاة ستمنحهم الوقت الكافي  
كي يلاحظوا ما يحدث .. بينما لو قررت وحدي  
لأمكنني أن أجلب التجدد ..

تكورت عبر الفجوة وتركت جسدي يسقط في  
الممر الثاني ..

لم يكن الارتفاع مخيفاً .. سقطت على الأرض  
وسط السائل الكريه لكن ليس هذا وقت الاشمزاز ..

تحسست حتى اصطدمت أناملي بالحبال والكابل على  
الأرض فرحت أفقو أثرها كالمجنون ..

لست مخطئاً .. إن هناك نوراً من نوع ما ، ومعنى  
هذا أن هناك فتحة قريبة من هنا ..

آلام صدري تتزايد من فرط انفعالي لكنني أتحمّل ..  
لو كان معي ( النتروجلسرين ) لـ ... لكنني لن أموت  
بقلبي .. ليس الآن .. ولو مت فلن أعرف هذا على  
كل حال ..

في النهاية اصطدمت بالجدار ورأيت الدرجات منحوتة  
فيه ، يتدلى فوقها الكابل محاطاً بالحبال .. ونظرت لأعلى  
فوجدت فتحة يدخل منها ضوء النهار خافتاً واهياً ..

دون أن أعرف أن هذه درجات ، وأن هذا الذي  
على الجانب ( درابزين ) قديم عمودي ، تشبثت ..  
وبدأت أصد .. أصد .. لا بد أن الارتفاع كان نحو  
أربعة أمتار .. وكان بوسعي أن أسمع الآن صوت  
السيارات في الشارع وضجيج العالم الحقيقي .. وكان  
بوسعي أيضاً أن أسمع صراخ العامل الأخير الذي  
ينتزعون روحه بعد ما أخذوا منه المثقاب ..

أخيراً صار صدري خارج المجرور ، وفي مستوى  
الشارع ..

عربة ( فان ) تقف هناك .. تخرج منها عشرات الكابلات  
والحبال .. ولافتات من النوع الذي يثبت على الأرض ،  
ويكتب عليها ( نأسف للإزعاج .. إصلاحات .. إلخ . ) ..  
وثمة ملاحظ جالس على الإفريز يشرب القهوة من تورمس  
كبير .. فما إن رآني حتى هب مفتوح الفم في بلاهة ..

قلت له بالعربية ( لأن اللغة الأم هي ما نستخدمه  
في الاستغاثة ) :

- « أسرع .. هات نجدة حالا .. »

ثم تداركت الأمر حين رأيت الغباء في عينيه ،  
فشغلت جهاز الترجمة الإنجليزية :

- « إن رجالكم في ... في ... النفق ... إنهم يـ ...  
يموتون ... أكلة لحوم بشر لو ... لو كنت تفهم ما ...  
ما أعنيه .. »

وهنا خرجت اليد من فتحة المجرور .. لم أرها لكنني  
شعرت بها حول كاحلي .. يد قوية حديدية تحاول  
جرى إلى أسفل ثانية ! لم يكن هروبي سرياً تماماً !

ارتميت على الأرض وصرخت :

- « إنهم يحاولون أنـ ... »

لم يفهم الرجل شيئاً لكنه رأى أن هناك من يحاول  
جر رجل آخر إلى المجرور فراح يجنبنى بقوة .. وسمع

أحد المارة الجلبة ، فلم يحتفظ بالبرود البريطاني  
العديد وهرع بدوره يمد لي يد العون ..

وأخيراً بدأت ارتفع ومعى ارتفع أحد هؤلاء المسعورين  
- لا بد أنه ( توماس ) - وقد تحول بالفعل إلى مسخ  
من فرط الشراسة والضوء الذي أعماه تماماً .. وكان  
يزأر كالذئب ويحاول أن يفتك بأى واحد يقترب منه ..

- « ما هذا الشيء ؟ لم لا تفعلون شيئاً ؟ »

كذا صاحت إحدى النساء في هستيريا ، على حين  
واصل الرجلان توجيه الركلات للمسوخ المتمسك بساقي ..  
وفي النهاية تخلى عنها وسقط في المجرور من جديد ..  
وغبت أنا عن الوعي ..

www.dvd4arab.com  
Hany3H

www.dvd4arab.com

قال :

- « لدينا شاهد آخر على صدق كلامك .. وهو عجوز سكير يدعى ( إزكيال ) .. إنه اعتاد أن يجوب المترو ليلاً نهاراً ، ومعه كلبه .. وقد رأى بعض هؤلاء القوم .. بل إنه رأى عملية اغتيال حدثت ليلاً وفر بعدها .. لكنه مصر على أنهم فتكوا بكلبه .. »

- « هذا صحيح .. لكنى أحسب أن شهادة رجل كهذا بلا جدوى .. »

- « لقد جن تماماً على كل حال .. البارانونيا هي بالضبط ما نمر به الآن .. »

جاءت الممرضة تحضر شيئاً .. فصمت المفتش حتى غادرت المكان ثم قال :

- « بالطبع لم نجد الباقيين .. مستحيل أن تجد أحداً في شبكة المجارى .. قلت لى كم عددهم ؟ »

- « لن يقل عن الخمسين أبداً .. »

## ١٢- هل هي الخاتمة حقاً ؟

القانون الحادى عشر :

لا يوجد قانون حادى عشر ..

\* \* \*

قال لى المفتش ( رادكليف ) من ( سكوتلانديارد ) :

- « من حسن حظك أن عمال المجارى ماتوا وأن بعض الناس رأوا ما رأيت ، وإلا ما صدق أحد هذه القصة .. »

قلت له فى إنهاك وأنا أنظر إلى قدمى البارزة من تحت الملاءة :

- « لا حسن حظ فى موت عمال أبرياء .. لكنى برغم كل شىء سعيد لأنكم صدقتمونى .. »

- « إذن هناك عشرون على الأقل منهم .. »

- « هل ظفرتم بثلاثين ؟ »

ابتسم في ثقة وقال وهو يحك رأسه :

- « لم نظفر بهم .. لقد ظفر بهم المترو .. هؤلاء

المخابيل وقفوا في طريق المترو في أثناء اندفاعه  
عبر النفق .. وكانوا يلوحون بالمشاعل والسلاح

الأبيض وكان معهم مسدس .. »

مسدسى لقد نسيته !

لكنى بالطبع لم أجرؤ على إخبار المفتش أنني دخلت

الجزيرة البريطانية ومعى مسدس لا تعرف عنه الجمارك  
شيئا .. فقط قلت :

- « وماذا حدث بعدها ؟ »

- « كانوا يحسبون أنهم في عصر القطارات الأمريكية

العتيقة .. وحسبوا أنهم بهذا سيقطعون طريق المترو

ويرغمون السائق على التوقف .. لكن حتى لو أراك هذا

ما كان يستطيع .. اندفع ليدوسهم وهو يحاول يائسًا  
أن يبطئ السرعة .. وأطلق آخرهم سبة وأطلق  
الرصاص على واجهة المترو ، لكنها لم تصب  
السائق ، وكان هذا آخر ما فعله هذا الكاوبوى  
الأخير .. »

غطيت وجهى من هول الموقف فقال المفتش :

- لقد جمعنا من الأشلاء ما يوحى بأنهم ثلاثون ..

هل لديك تفسير لما فعلوه ؟ »

- « ليس لدى تفسير واحد .. »

ونظرت من جديد إلى الملاءة المجددة وقلت :

- « لا يوجد تفسير واحد .. هناك أكثر من تفسير

مجتمعة .. المرض الذى حل بهم .. إن الجذام ليس نوعًا

من الزكام لو كنت تفهم ما أعنيه .. لقد شعروا أن سبب

وجودهم نفسه قد زال .. وأن انقراضهم صار مسألة

وقت .. »



« أضف لهذا أنهم أدركوا أن أمرهم لم يعد سرًا ،  
وأنتى سأخبر العالم بكل شيء .. »

« أضف لهذا شعورهم الزائف بالقوة .. فهم لم  
يعودوا يهابون العالم الخارجى ، وهجماتهم على محطات  
المترو تشهد بهذا .. »

« أضف لهذا رغبتهم الأخيرة المدمرة فى ترويع  
العالم الخارجى ، وإحداث أكبر قدر من الأذى .. لونجح  
الهجوم لكانت جريمة يهتز لها العالم : افتراس ركاب  
مترو الأنفاق ! يبدو لى عنوانًا شائقًا بحق .. ولو فشل  
فهم لن يخسروا شيئًا وقد فقدوا كل شيء بالفعل .. »

« لقد كان هذا الهجوم الأخير مشهدًا يبعث القشعريرة  
فى النفس .. المواجهة بين قوى الطبيعة الكاسحة  
وبين الحضارة التى لاترحم .. المواجهة بين الفطرة  
الخشنة القاسية وبين الآلة .. »

« كانت نتيجته معروفة سلفًا وأعتقد أنهم لم يندموا  
كثيرًا .. »

« لقد أقلت العشيرة آخر ورقة لديها وخسرت ..  
وكان هذا محتومًا .. »

\* \* \*

وماذا عن الباقين ؟

لا أعتقد أن أحدًا سيجدهم .. ربما يموتون وربما  
هم الآن فى المجارى يكونون عشيرة أخرى .. لن  
نعرف أبدًا حتى يختفى المسافر الليلى التالى  
بلا تفسير ..

وإن كنت أرجح أن الأقوى والأشجع هم من مات  
فى عملية المترو هذه .. بالتالى لم يبق سوى النساء  
والأطفال و ... ( ليزا ) ..

ترى ماذا تفعله وتقوله الآن ؟ هل هى حية ؟ هل  
ستغفر لى التخلى عنها ؟

كنت آمل أن آتى بنجدة يا ( ليزا ) وكان هروبك  
معى سيقضى علينا معًا ..

لم يبق سوى النساء والأطفال و ... الأطفال؟؟  
لو ظل الأطفال أحياء فإن العشيرة عائدة لاريب  
فى ذلك ..

لكنى سأكون بعيداً لأنى عائد إلى مصر أخيراً .. سيكون  
فى مصر مترو أنفاق فى التسعينات لكنى لا أعتقد أن  
العشيرة قادرة على الوصول إليه ..

\* \* \*

وهكذا ودعت ( عاصم إبراهيم ) طالب الدكتوراه  
النجيب وعدت إلى مصر منتظراً أن أبدأ حياة باسمه  
نوفاً .. من الصير على أن أعيش أية فترة سعيدة  
دون أن تنتهى بمصيبة ..

وكان الرقم المشنوم ينتظرنى .. ما تفاصيل هذا؟  
لاداعى للتفاصيل لأن هذه قصة أخرى ..

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

ما وراء الطبيعة

روايات تحسيس الأنتناس  
لمن فرط الغموض والذعب والإدارة

## روايات مصرية الجيب

### أسطورة العثيرة

القانون الأول : لا احد سوانا ... لأنه

لا احد يقبل ان يكون منا ..

القانون الثاني : ما يعرفونه لا يعنينا ان

نعرفه .. وما نعرفه لا يصدقه احد منهم ..

القانون الثالث : كل حياتهم لنا .. ودمهم

مستباح .. لكننا لا نبغى أموالهم لأنها

منهم ..



د. احمد خالد توفيق

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

التس في مصر ٢٠٠٠  
ومايعادله بالدولار الأمريكي  
في سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
ت : ٤٩٠٤٤٤ - ٤٩٠٤٤٤  
فاكس : ٤٩٠٠٠٤

العدد القادم :  
أسطورة  
في جانب النجوم